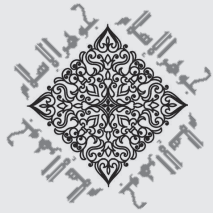

جوهر الإسلام

العدد 10/9- السنة 24
محرّم 1448 هـ / جويلية 2026 م

الثمن 5 د.ت - 5 أورو

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة
الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

العنوان	28 نهج جمال عبد الناصر ـ تونس 1000
الهاتف الفاكس	216.71.327.130 216.71.423.233
البريد الالكتروني الموقع الالكتروني	mestaoui.s@gnet.tn www.jawhar-al-islam.info
الحساب الجاري بالبنك العربي لتونس (الجزيرة)	01000021111000238106
ISSN	4957-0330

الثمن للأفراد	الاشتراك بتونس	الاشتراك للمؤسسات
بتونس 5 د.ت	للأفراد : 30 د.ت	بتونس 50 د.ت
بالخارج 5 أورو	بالخارج 40 أورو	بالخارج 50 أورو

تم طبع وإنجاز هذا الكتاب في
Sotepa Grafic
12 نهج الخيرية ـ 1002 تونس البلفيدير
البريد الالكتروني sotepagraphic@yahoo.fr

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

صدق الله العظيم

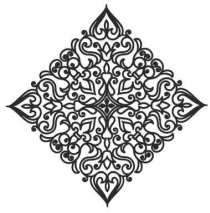

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة

الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير

الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

1448 هـ/ 2026 م

الفهرس

من الهجرة النبوية يستلهم المسلمون الدروس وعلى نهج الهجرة المحمدية تسير مجلة «جوهر الإسلام» 6
رئيس التحرير

تفسير آيات من القرآن الكريم..... 8
بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

الخطاب الإسلامي بين القواطع والإجتهاديات أقوال العلماء في الاختلاف 13
بقلم فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن بية

التعريف بكتاب تراجم الأعلام للعلامة الهمام فضيلة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور رحمه اللّه وطيّب ثراه 21
بقلم الأستاذ: صالح العود

تحدِّيَات العالَم الإسلامي والإرهاب(1)..... 23
فضيلة الشيخ أحمد الطيب شيخ الأزهر

أبواب الخير والمعروف 28
بقلم : الأستاذ محمد صلاح الدّين المستاوي

أدوات صناعة الفتوى في المدونات الأصولية القديمة 34
بقلم الدكتور قطب مصطفى سانو

نعم... الشيخ محمد الطاهر بن عاشور يقرض الشعر 40
بقلم الأستاذ: محمد الصادق عبد اللطيف

رسالة من رسائل في التصوف لسليل الخطباء وكبار الشيوخ والأولياء 43
الأستاذ عبد الهادي النجّار الشاذلي والأستاذ آرش أبو ترابي همداني

أخلد الأعمال وأبقاها أخلصها إلى الله 48
بقلم : الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

ماهي القضية الكبرى للإنسان اليوم ؟ 50
بقلم المفكر الهندي وحيد الدين خان

إشكالية ترجمة القرآن الكريم والأحاديث النبوية إلى اللغات الأجنبية
وأثرها في سوء فهم الإسلام 54
بقلم الدكتور الصادق العثماني

عنايةُ الشّيخ محمّد الحبيب المستاوي ـ رحمه اللّه بالقرآن الكريم وبالسُّنّة
النّبويّة في مُؤلّفاته ومقالاَتِه 58
دراسة من إعداد: الأستاذ الدكتور علي العلوي

فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي عالم نذر عمره لخدمة الدين والعلم 66
بقلم فضيلة الشيخ عبد القادر عاشور

قراءة في المنهج الروحي عند وحيد الدين خان والحبيب المستاوي 71
بقلم : طارق سعد (طرابلس - ليبيا)

«الشيخ الحبيب المستاوي أحد رجال الإصلاح في العصر الحديث» 75
بقلم المفتي عبد العزيز محمود بأدي

الحبيب المستاوي: نموذج للمثقف الملتزم 79
بقلم الدكتور موسى كوناتي

جامع الزيتونة والحرمين 83
بقلم الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان

من فوائد المحظرة 87
بقلم الشريف محمد بن سيد أحمد صلاحي العباسي

خطبة الجمعة : الهجرة النبوية دروس وعِبَر 89
الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي

يسألونك قل : حول صلاة العشاء وتحية المسجد 93
بقلم الشيخ الحبيب النفطي – رحمه اللّه

...وهل لي من دواء الاها ؟ 98
بقلم صالح الحاجة

الافتتاحية

من الهجرة النبوية يستلهم المسلمون الدروس وعلى نهج الهجرة المحمدية تسير مجلة «جوهر الإسلام»

يقترن صدور هذا العدد9/ 10 من السنة24 من مجلة جوهر الإسلام بحلول العام الهجري1448 وهي مناسبة تستلهم منها المجلة العديد من العبر والدروس التي لا يمكن ان تستوعبها وتحيط بها افتتاحية الشأن فيها الاختصار (وفي العدد نص خطبة جمعية لعل ما فيها يفي بالغرض).

من دروس الهجرة التي تستنير بها جوهر الإسلام في مسيرتها المباركة ما توخاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبليغه للرسالة التي خصه الله بها وارسله بها للناس كافة بشيرا ونذيرا ورحمة للعالمين المضي في هدفه بعزيمة وإصرار وتفان وإخلاص موقنا ان الله متم نوره وناصر عبده وهازم الأحزاب وحده غير متأخر عن أداء ما هو مكلف به من أخذ بالا سباب يتجلى ذلك في بداية دعوته بالأقارب امتثالا لأمر ربه(وانذر عشيرتك الاقربين) متحملا كل ما يلاقيه منهم من الأذى في صبر ومصابرة لا تأيس ولا تضعف نفسه أمام اغراءاتهم (والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الامر ما تركته الا ان اهلك دونه) ومضي عليه الصلاة والسلام إلى الاباعد الذين كانوا اشد ظلما ولما حكمه الله فيهم لم يزد على ان دعا لهم قائلا(اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون).

وبموازاة ذلك عرض عليه الصلاة والسلام على القادمين على مكة للحج دعوته فنال شرف السبق أهل يثرب التي اليها سبق كل من استأذنه من أصحابه وارسل معهم صاحبه مصعب بن عمير رضي الله عنه يعلمهم دينهم(وقد تكاثر عددهم وانتشر الإسلام في المدينة حتى لم يبق بيت الا ودخله الإسلام) و لم يستبق الا صاحبين هما عليا وأبا بكر الأول للنوم في فراشه ليلة الهجرة وأداء الامانات إلى أصحابها والثاني لصحبته في الهجرة وقد كان يمني بها نفسه وحققها الله له و جند لانجاحها كل أفراد أسرته (الابن والبنت: عبد الله وأسماء والراعي للغنم واتخاذ الراحلتين والخريت الدليل في الطريق).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختار لأصحابه (الذين نالهم أذى قريش الشديد) ملاذا آمنا وكانت الحبشة هي البلاد التي أرسل إليها أصحابه حيث الملك العادل النجاشي الذي لا يظلم عنده أحد والذي كان لمن اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم سفيرا (جعفر ابن أبي طالب) الدور الفعال فقد أحسن التبليغ والتعريف بالدين الجديد وكان له الأثر في اهتداء النجاشي لدين الإسلام وناله شرف الصلاة عليه عندما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيه وهو في المدينة.

وكانت تلك بعض جوانب الاعداد والاخذ بالأسباب من طرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اعلمه من اليوم الذي اخذته فيه السيدة خديجة عند عودته من غار حراء إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الخبير في شان الأنبياء والرسل عليهم السلام والذي اخبره انه خارج لا محالة من مكة يوما ما ولكن لا يدري متى و لا إلى أين.

والفترة المكية من عمر الرسالة هي الأطول (ثلاثة عشر سنة) لم يتأخر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البذل والعطاء لا يبتغي الا مرضاة ربه الذي كان موقنا بانه لن يتخلى عنه وذلك ماراه ولمسه لدى خروجه من بيته وقد بيتت قريش تقاسم دمه فلم ينله منهم أدني اذى وكذلك لما دخل الغار بمعية صاحبه حيث باضت الحمام واسدلت العنكبوت بيتها ولم ير من وصلوا إلى الغار الملاحقون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه (اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا). كما رأى رسول الله صلى الله وسلم نصرة ربه في غوص قوائم فرس سراقة لما لحق بالركب الميمون طمعا في الحصول على ما رصدته قريش من مال وفير لمن يأتيها برسول الله وصاحبه وكذلك قصته مع شاة ام معبد العجفاء التي درت بمسح يده عليه الصلاة والسلام على ضرعها فدرت لبنا ما سقى الرسول وصاحبه واهل الخيمة.

ومما يستوقفنا من الدروس ما خاطب به رسول الله مكة وهو يودعها (والله أنك لا حب بلاد الي ولولا ان قومك اخرجوني ما خرجت اللهم كما اخرجتني من أحب البلاد إلي فادخلني أحب البلاد اليك).

ووصل الركب الميمون إلى المدينة ليجد جموع المستقبلين يرددون (اقبل البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا الله داع).

كل هذا الذي اختزلناه واختصرناه من عبر ودروس الهجرة هو ما ينبغي على المسلمين بمختلف فيأتهم ومراتبهم ومسؤولياتهم ان يستخلصوه ويستفيدوا منه من الهجرة في كل شؤون دينهم ودنياهم وهو ما جعلته مجلة جوهر الإسلام نبراسا وهاديا لها وما كتب الله لهابه من تواصل الصدور منذ ستينات القرن الماضي والى الربع الأول من هذا القرن وذلك فضل من الله وتوفيق وعون منه نسأله استمراره وتواصله.

هذا العدد الخاتم للمجلد الرابع والعشرين من مجلة جوهر الإسلام يتضمن فضلا عن(الأبواب القارة المعتادة والقسم الفرنسي عددا من البحوث والدراسات العلمية المتنوعة) ملفا يضم جانبا مما ألقي من بحوث القسم الثاني من ندوة المئوية التي أقيمت في تونس العاصمة لمؤسس المجلة فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله يوم 7 فيفري 2026تحية لروحه وتخليدا لذكراه.

ومع العدد كالمعتاد هدية هي كتاب (الوجيز في تاريخ العلم والعلماء بتونس) تأليف الشيخ صالح علي العود أجزل الله مثوبته.

والله الموفق لما يحب ويرضى.

رئيس التحرير.

تفسير آيات من القرآن الكريم

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

يقول الله تبارك وتعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿**الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ المَشْعَرِ الحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾صدق الله العظيم، تتعرض هذه الآيات من **سورة البقرة** مع الآيات التي قبلها من قوله جل من قائل : ﴿**وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لله**﴾ إلى بيان مناسك الحج والى إبرازه في إطاره الحقيقي حتى تتوجه أنظار المسلَمين إلى صميمه وحقيقته مثلما هو الشأن في بقية التشاريع الإسلامية التي دعا إليها القرآن الكريم وبينتهما السنة المطهرة وسنقتصر على تفسير الآيات بما يقتضيه التفسير المجمل بدون أن نتعرض إلى تفصيل الأحكام الفقهية لان ذلك يبعد بنا عن الغرض الأصلي ولا يغني عن مزيد من التفصيل والتدقيق.

﴿**الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا**

أُولِي الأَلْبَابِ﴾ لقد أقرّ الإسلام ما حفظه الناس وتناقلوه بالتواتر عن دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في توقيت الحج وجعله لا يتجاوز الأشهر المعلومة التي هي شوال وذو القعدة وبعض ذي الحجة. وليس غريبا أن يقر الإسلام ما بقي واضحا من آثار الحنيفية البيضاء، إذ شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ، إنما فقط يهذب الإسلام ما يقتضي التهذيب ويزيل عن الأصول العامة ما لاصقها من طفيليات هي في واقعها غريبة ولكن كثرة الاستعمال صيرتها كجزء من الأصل العام. ولهذا فانه يقول ﴿**فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الحَجِّ** ﴾انه يطالب من التزم بأداء هذا الركن العظيم وشرع فيه بالإحرام أو سوق الهدي وما يقتضي الشروع والعزم يطالبه بأن يتجرد من الهذر وفحش القول أو مقاربة النساء وهذا ما يسمى بالرفث على معنييه اللغوي والشرعي وبان يتجرد أيضا عن الفسوق الذي هو لغة التنابز بالألقاب وشرعا الذي هو كل معصية وبأن ينسلخ عن المراء والجدل الذي هو مضنة التخاصم والعداء، يتجرد وينسلخ عن كل هذه الأشياء مثلما تجرد من المخيط والمحيط، اجل عليه أن يعلم انه في شهر حرام وفي بلد حرام تضاعف فيه الحسنات وتحط به السيئات وتنال فيه الرغبات، وبدون شك تعظم فيه المعصية لأنها دليل قلة الحياء وتحجر العاطفة وتبلد الشعور وفضلا على ما ورد من الأحاديث الكثيرة التي تبشر الحجاج والعمار بالخير الجم مثل ما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة من قول الرسول ﷺ **(من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)** قلت فضلا عن ذلك فان تلك المشاعر والمناسك وذلك البيت العتيق وما ارتبط به من أحداث قريبة وبعيدة وذكريات مشرفة ومشوقة وتلك المدة المحدودة التي هي كإلمامة حبيب عزيز مودع وذلك الجو الروحاني الغامر، وتلك الفيوضات التي يشعر بها كل من عمر الإيمان قلبه جميع هذه الأشياء وكثير غيرها تجعل الرفث والفسوق والجدال أمورا تافهة لا يتعاطاها إلا التافهون الذين جعلوا شعارهم في الحياة اللامبالاة وليتهم تمعنوا في قوله جلت كلماته ﴿**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ**﴾أي غر بسيط يغرب عن ذهنه أن المولى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. يعلم ما توسوس به النفوس،

وما يتحرك وما يسكن في ظلمات البر والبحر ومادام ربك يعلم كل شيء ويحصي كل كبيرة وصغيرة فمن العته والجنون أن يجد الفقير فرصا مواتية للاغتراف والغنم والتزود ويترك سبيلا إلى الحاجة والفقر، إننا لا نتصور فقيرا واحدا من العقلاء وجد كنزا ليس على ملك احد وادخر من جهوده أو من حقائبه أو من ثيابه شيئا فلم يشتغلها ولم يشحنها بما يبعد الفقر حتى عن بنيه وأحفاده فمالنا نرى كثيرا من العقلاء تتاح لهم فرص التزود بخير وهو التقوى، التقوى التي هي الوقاية الوحيدة من شرور السماء والأرض، والدنيا والآخرة.

تتاح لهم فرصة العمر فيكونون ضيوف ربهم الأغنى والأكرم، ومع ذلك يضيعونها في ما لا يجدي نفعا ويعودون إلى أهليهم كما ذهبوا منهم، اللهم إلا الخسارة المادية واللقب الخدوع. إن أمثال هؤلاء لمن الحمقى والمعاتيه ولو كانوا من ذوي العقول والألباب لقالوا لربهم لبيك لبيك عند سماعهم لندائه ﴿**وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ**﴾، ثم يأبى الله سبحانه وتعالى إلا أن يزيل حيرة أولئك الحائرين الذين رأوا تطهير الإسلام للحج من رواسب الجاهلية الأولى وإبعاده عن معاني الاستغلال المادي والتنابذ والتفاخر، والرفث والفسوق والمراء فخيل إليهم انه تجريد تام وتجرد مطلق ولن يتحقق لهم ذلك إلا إذا انقطعوا عن كل عمل للدنيا بما فيه من إيجار وبيع وكراء وما إليها من معاني التكسب ولن يزول هذا التوقف إلا بوحي ينزل على الرسول ﷺ فيعطيهم الجواب الحاسم وها هو الجواب يجيء في الإبان فلنستمع إلى الحكيم العليم يقول: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ المَشْعَرِ الحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ ليس على المؤمنين من حرج أن يشتغلوا مدة أداء فريضة الحج يما هم في حاجة إليه من عمل وتجارة وصناعة اقتضتها ضروريات حياتهم لان ذلك كله في نظر الإسلام عبادة تقريهم إلى الله زلفى وتبعد عنهم وعن مجتمعهم أشباح الخصاصة والحرمان إنما الذي يريد الإسلام ضبطه وتحديده هو توضيح المقاصد، والبعد عن التداخل الذي يذهب رونق الأشياء ويبعد بها عن حقائقها (**إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما**

نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) هذا هو التحديد الواضح الحكيم، إتيان البيوت من أبوابها فقط وتسميته الأشياء بأسمائها الحقيقية وما زاد على ذلك فكله ممكن، تصوم وتعمل وتصلي وتمارس كل شيء وتحج وتبيع وتشتري وتخالط وتعاقد كل ذلك مشروط بعدم ضياع المقصود الأصلي **(ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم)** ثم يقول الله تعالى ﴿**فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ**﴾ انه يطلب من الحجاج بعد أن يتوجهوا في مساء اليوم التاسع من عرفات إلى المزدلفة وهي المشعر الحرام مرددين ذكر الله بالدعاء والتحميد والتلبية: التلبية التي هي شعارهم منذ الإحرام لا تفتأ ألسنتهم ترددها في كل حين مهما دخلوا أو خرجوا وكلما قاموا واستيقظوا وفي كل تبدل من حالة إلى أخرى **(لبَّيكَ اللَّهمَّ لبَّيكَ، لبَّيكَ لا شَريك لكَ لبَّيك، إنَّ الحَمد والنِّعمةَ لك والمُلكَ، لا شريك لك)** وليس ذكر الله مقصورا على هذه التلبية وذلك الحمد والدعاء بل انه استغراق في الذكر والتفكر واستشعار النعم التي من أولها هدايتنا إلى معرفته سبحانه وتعالى والى كيفية دعائه وطلبه ولولا ذلك لبقينا كما كان آباؤنا الأولون نتعسف طريق الضلالة والغي: فما هدايتنا إذن إلا من محض فضله وهي أحق النعم بالشكر والاعتبار، ومن اجل هذا يمضي القرآن في القضاء على رواسب الجاهلية الأولى فيقول ﴿**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ اجل انه إيذان بأفول شمس العنجهية والتعالي بالآباء والجدود. وإعلان صريح على أن هذا الدين يقر أول ما يقر مبدأ التساوي في الحقوق والواجبات إذ لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لابيض على اسود إلا بالتقوى، الناس من آدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله اتقاكم، فهل يتسنى لقريش أو لكنانة أو قيس الذين هم الصلاب الشداد في الدين والحرب حسبما ادعوا لأنفسهم واقرهم العرب على ذلك، قلت هل يتسنى لهم بعد أن سمعوا ربهم يقول ﴿**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ**﴾ وبعد أن رأوا النبي ﷺ يقف مع عموم أمته بعرفات أن يدعوا لأنفسهم شرفًا بما يميزهم عن خلق الله فيقفون

بمزدلفة مثلما كانوا يفعلون في جاهليتهم تلك الجاهلية التي حرفت كثيرا من مفاهيم القيم وبدلت **شريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام**، فحق لهم أن يستغفروا ربهم مما كانوا يرتكبونه من آثام جماعية أو فردية. ويمضي القرآن في تقويم الاعوجاج والانحراف بدغدغته اللطيفة واللاذعة فيقول ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا**﴾ إذا ما انتهى الحاج من رمي الجمار ومن الإقامة بمنى في أيام التشريق فليضرب صفحا عما كان يفعله الجاهليون من اجتماع للتفاخر بالآباء والجدود والقبائل والأصول، وليبدلوا كل ذلك بذكر ألاء الله ونعمه وبتكبيره في أيام التشريق وتسبيحه وتمجيده تمجيدا هو له أهل ولا يجاريه فيه مجار. وهؤلاء الذين يذكرون ربهم ويدعونه رغبا ورهبا وتضرعا وخيفة هم على نوعين. نوع يتكالب على شؤون الدنيا فلا يتذكرها إلا هي من بسط في الرزق ومد في العمر ونصر على الخصوم وإنجاح للبنين وينسون تماما نصيبهم من الآخرة فلا غرو أن يقول الله فيهم: ﴿**وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ**﴾ أي ليس له نصيب ولاحظ في الآخرة أما النوع الثاني وهم الرشداء فيقولون ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ هؤلاء هم الناجحون في الحياتين لأنهم طلبوا من ربهم أن يؤتيهم حسنة الدنيا وحسنة الآخرة وما حسنة الدنيا إلا التوفيق للأعمال الناجحة الموصلة إلى المقاصد من اقرب سبيل وبذلك يتوفر للإنسان ما يتوق إليه من مال وجاه ونصر على الأعداء والمشاكل. وما حسنة الآخرة إلا الفوز برضى الله وسكنى الجنان وذلك يكون بالإيمان الصادق والعمل الصالح الذين بهما تحصل الوقاية من العذاب السرمدي ولقد وعدهم الله بالاستجابة والقبول وهو سريع الحساب ثم تختم الآيات بالتوصية بالإكثار من ذكر الله والتكبير في أيام منى وهي المسماة بأيام التشريق التي هي من الحادي عشر إلى الثالث عشر من ذي الحجة وهي أيام رمي الجمار التي خفف المولى على عباده المؤمنين بأن جعلها يومين للمتعجل وثلاثة أيام لغير المتعجل فيقول ﴿**وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾صدق الله العظيم.

الخطاب الإسلامي بين القواطع والإجتهاديات

أقوال العلماء في الاختلاف

بقلم فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن بية
رئيس منتدى أبو ظبي للسلم

يقول **الحافظ بن رجب**: ولما كثر اختلاف الناس في مسائل الدين وكثر تفرقهم كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم، وكل منهم يظن أنه يبغض لله، وقد يكون في نفس الأمر معذورا وقد لا يكون معذورا؛ بل يكون متبعاً لهواه، مقصراً في البحث عن معرفة ما يبغض، فإنَّ كثيراً من ذلك إنما يقع لمخالفة متبوع يظن أنه لا يقول إلا الحق، وهذا الظن قد يخطئ ويصيب، وقد يكون الحامل على الميل إليه مجرد الهوى والألفة أو العادة، وكل هذا يقدح في أنْ يكون هذا البغض لله، فالواجب على المسلم أن ينصح لنفسه ويتحرز في هذا غاية التحرز، وما أشكل منه فلا يدخل نفسه فيه، خشية أن يقع فيما نهى عنه من البغض المحرم.

وها هنا أمر خفي ينبغي التفطن له وهو أنَّ كثيراً من أئمة الدين قد يقول قولا مرجوحاً ويكون فيه مجتهداً مأجوراً على اجتهاده فيه موضوعاً عنه خطؤه فيه ولا يكون المنتصر لمقالته تلك بمنزلته في هذه الدرجة؛ لأنه قد لا ينتصر لهذا القول إلا لكون متبوعه قد قاله، بحيث لو أنه قد قاله غيره من أئمة الدين لما قبله ولا انتصر له ولا والى من يوافقه ولا عادى من خالفه، وهو مع هذا يظن أنه إنما انتصر للحق بمنزلة متبوعه وليس كذلك، فإن متبوعه إنما كان قصد الانتصار للحق وإن أخطأ في اجتهاده وأما هذا التابع فقد شاب انتصاره لما يظن أنه الحق إرادة علو متبوعه وظهور كلمته، وأنه لا ينسب إلى الخطأ وهذه دسيسة تقدح في قصده الانتصار للحق فافهم هذا،

فإنه مهم عظيم، ﴿**وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾. انتهى كلام الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» وهو كلام في غاية الفضل.

قال **يونس الصدفي**: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوما في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في مسألة».

وقال **الشافعي**: ما ناظرت أحداً إلا قلت: اللهم أجر الحق على قلبه ولسانه فإن كان الحق معي اتبعني وإذا كان الحق معه اتبعته».

العذر باختلاف العلماء

عدم الإنكار في مسائل الاختلاف ومسائل الاجتهاد يقول **ابن القيم**: إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مساغ لم ينكر على من عمل فيها مجتهداً أو مقلداً.

ويقول **العز بن عبد السلام**: من أتى شيئا مختلفا في تحريمه إن اعتقد تحليله لم يجز الإنكار عليه إلا أن يكون مأخذ المحلل ضعيفا.

ويقول **إمام الحرمين**: ثم ليس للمجتهد أنْ يعترض بالردع والزجر على مجتهد آخر في موقع الخلاف إذ كل مجتهد في الفروع مصيب عندنا، ومن قال إن المصيب واحد فهو غير متعين عنده فيمتنع زجر أحد المجتهدين الآخر على المذهبين.

وكان **مالك** رحمه الله تعالى يستعظم أن يقول المفتي هذا حرام في مسائل الاجتهاد الخلافية وإنما يقول: **أكره**.

قال ابن رشد في البيان والتحصيل: قال مالك: لم تكن فتيا الناس أن يقال هذا حلال وهذا حرام ولكن يقال: أنا أكره هذا ولم أكن لأصنع هذا، فكان الناس يكتفون بذلك ويرضون به، وكانوا يقولون: إنا لنكره هذا وإن هذا ليتقى، لم يكونوا يقولون هذا حلال وهذا حرام. وقال: وهذا الذي يعجبني والسنة ببلدنا.

أسباب الاختلاف:

إن أسباب الاختلاف بعضها يرجع إلى فطرة البشر وإلى طبيعة الأدلة فمن الأول ما يقول فيه **ابن القيم** : وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لابد منه لتفاوت أغراضهم وأفهامهم وقوى إدراكهم، ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه.

أما طبيعة الأدلة فيمكن إجمالها في أربعة أوجه تعتبر عناوين كبيرة لأسباب الاختلاف الكثيرة والمتنوعة.

1 ـ اختلاف في دلالات الألفاظ وضوحاً وغموضاً واعتباراً ورداً.

2 ـ اختلاف في أدلة معقول النص التي ترجع إلى مقاصد الشريعة قبولاً ورفضاً.

3 ـ اختلاف في وسائل ثبوت النصوص الشرعية ودرجات الثبوت.

4 ـ اختلاف في ترتيب الأدلة عند التعارض قوة وضعفاً.

فهذه العناوين الأربعة يرجع إليها اختلاف العلماء، وقد ذكر **ابن السيد** ثمانية أسباب لاختلاف العلماء.

وأما الحافظ **ابن رجب** فقد قال عن أسباب الخلاف: منها أنه قد يكون النص عليه خفياً، لم ينقله إلا قليل من الناس، فلم يبلغ جميع حملة العلم.

ومنها: أنه قد ينقل فيه نصان، أحدهما: بالتحليل، والآخر: بالتحريم، فيبلغ طائفة منهم أحد النصين دون الآخر؛ فيتمسكون بما بلغهم، أو يبلغ النصان معاً من لا يبلغه التاريخ فيقف لعدم معرفته بالناسخ.

ومنها: ما ليس فيه نص صريح، وإنما يؤخذ من عموم أو مفهوم أو قياس، فتختلف أفهام العلماء في هذا كثيراً.

ومنها: ما يكون فيه أمر أو نهي، فتختلف أفهام العلماء في حمل الأمر على الوجوب أو الندب، وفي حمل النهي على التحريم أو التنزيه.

إنه بالنظر إلى منهجية مختلف المذاهب ندرك بداهة أنها لا تختلف في اعتبار الكتاب والسنة مصدرين منشأين للتشريع، وهو أصل عقدي للمسلم كما أنها تعتبر الإجماع والقياس مصدرين معرفين على الأصلين، وهذا في الجملة.

أما في التفصيل، فإنَّ ملامح الاختلاف تتحدد على ضوء اجتهاد يتوسع في معتبر الحديث؛ فيعمل بالمراسل والبلاغات والمنقطع والضعيف أحياناً، مقدماً ذلك في الرتبة على معقول النص المدرك بالاجتهاد. وبين مقتصر على اعتبار ما صح بمعايير حديثية صارمة تاركاً للاجتهاد بالقياس وما في حكمه، أو للاستصحاب مساحة أوسع، وربما قدم بعضهم عمل الراوي على العمل بمرويه.

كما أنَّ تفاصيل التعامل مع الإجماع يعرض فيها الاختلاف بين موسع لمفهوم الإجماع ليشمل الإجماع السكوتيّ وإجماع سائر القرون والعصور ومعتبر إجماع أهل المدينة.

وبين مضيق في مفهوم الإجماع لحصره في النطقي، ومن يحصره في إجماع الصحابة فقط.

وكذلك فإن قياس العلة يتفق على اعتباره أكثر العلماء، غير أنَّ الاختلاف يعرض في أنواع أخرى من القياس؛ كقياس الشبه وقياس العكس، وكذلك بعض مسالك العلة.

أما الأدلة الأخرى كالمصالح المرسلة وسد الذرائع والاستحسان وقول الصحابي وشرع من قبلنا.

فتتفاوت المذاهب بالأخذ بها، ولكنها لا تعرو عنها، والتباين إنما هو في التنائي عن النص والشسوع عنه أو اللياطة به واللصوق، كما يشير له إمام الحرمين وهو يقرر موقف الشافعي من المصالح المرسلة.

وبصفة عامة يختلف الأئمة في الأخذ بالمقاصد، فمن متوسع في الأخذ بها متعمق في أغوارها دائر مع إيرادها وإصدارها ومن متشبث بالنصوص متمسك بأهدابها.

وكل المذاهب بدون استثناء اعتمدت قادة مجتهدين ومجتهدى مذهب ومقلدين متبصرين ومقلدين ناقلين، وجعلت من سلك سبيلهم من عوام المسلمين في سعة في دينه وسداد في أمره، كما أنها اعتمدت ما اشتهر من أقوال هؤلاء وترجح لكنها أيضاً ذكرت جواز العمل بغير الراجح وبغير المشهور لضرورة أو حاجة منزلة منزلتها.

السمة الثانية: التصالح في الخطاب والكف عن التبديع والتكفير.

لخطورة التكفير فقد ورد في الحديث: **من رمي مؤمنًا بكفر فهو كقتله**». «**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما**».

والأحاديث بمثل هذا المعني كثيرة، وما ذلك إلا لما يستلزمه الكفر من النتائج الخطيرة التي من جملتها إباحة الدم، والمال، وفسخ عصمة الزوجية، وامتناع التوارث، وعدم الصلاة عليه، ومنع دفنه في مقابر المسلمين، وغيرها من البلايا والرزايا نعوذ بالله تعالى منها.

هذا وقد اختلف العلماء في مسائل التكفير وتبادلت الطوائف تهمته بحق أو بغير حق، إلا أنه بسبب ما ورد فيه من الوعيد حذّر أشد التحذير من التكفير جماعة من العلماء حتى قال **الإمام السبكي: ما دام الإنسان يعتقد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ فتكفيره صعب»**.

وقال الأستاذ **أبو إسحاق** الاسفرائيني: **لا أكفر إلا من كفرني»**.

وقد بالغ الإمام **أبو حامد الغزالي** حتى نفي الكفر عن كل الطوائف فقال: هؤلاء أمرهم في محل الاجتهاد، والذي ينبغي الاحتراز عن التكفير ما وجد إليه سبيلاً، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بالتوحيد خطا، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم مسلم.

وبعد أن ذكر أمثلة لطوائف يكفر بعضها بعضاً.

قال: والسبب في هذه الورطة الجهل بموقع التكذيب والتصديق، ووجهه أن كل من نزل قولاً من أقوال الشرع على شيء من الدرجات العقلية التي لا تحقق نقصًا فهو من التعبد، وإنما الكذب أنْ ينفي جميع هذه المعاني ويزعم أنَّ ما قاله لا معني له إنما هو كذب محض، وذلك هو الكفر المحض، ولهذا لا يكفر المبتدع المتأول ما دام ملازمًا لقانون التأويل؛ لقيام البرهان عنده على استحالة الظواهر».

«وفي جامع الفصوليين **روي الطحاوي** عن أصحابنا: لا يخرج الرجل من الإيمان إلا جحود ما أدخله فيه، ثم ما تيقن أنه ردة يحكم بها، وما يشك أنه ردة لا يحكم بها؛ إذا الإسلام الثابت لا يزول بالشك، مع أن الإسلام يعلو وينبغي للعالم إذا رُفع إليه هذا أن لا يبادر بتكفير أهل الإسلام مع أنه يقضي بصحة إسلام المُكره».

أقول: قدمت هذا ليصير ميزانًا فيما نقلته في هذا الفصل من المسائل، فإنه قد ذكر في بعضها أنه كفر مع أنه لا يكفر على قياس هذه المقدمة، فليتأمل أحد ما في جامع الفصوليين.

وفي الفتاوى الصغرى: الكفر شيء عظيم فلا أجعل المؤمن كافرًا متى وجدت رواية أنه لا يكفر».

وفي الخلاصة وغيرها: إذا كان في المسألة وجوه توجب الكفر ووجه واحد يمنعه، فعلى المفتي أنْ يميل إلى الوجه الذي يمنع التكفير تحسينًا للظن بالمسلم، زاد في البزازية: إلا إذا صرح بإرادة موجب الكفر فلا ينفعه التأويل، وفي التتار خانية:

لا يكفر بالمحتمل؛ لأن الكفر نهاية في العقوبة فيستدعي نهاية في الجناية والاحتمال لا نهاية معه».

«والذي تحرر أنه لا يفتي بكفر مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة، فعلى هذا فأكثر ألفاظ التكفير المذكور لا يفتى بالتكفير فيها، ولقد ألزمت نفسي أن لا أفتي بشيء منها». أ.هـ كلام البحر ـ باختصار ـ.

ومثله نص عليه في تنوير الأبصار مع شرحه رد المحتار، وعلق ابن عابدين على قوله: ولو رواية ضعيفة بقوله: قال الخير الرملي: أقول: ولو كانت الرواية في غير أهل مذهبنا، ويدل على ذلك اشتراط كون ما يوجب الكفر مجمعًا عليه».

وقال شيخ الإسلام **ابن تيمية** في الفتاوى: وأجمع الصحابة وسائر أئمة المسلمين على أن ليس كل من قال قولاً أخطأ فيه أنه يكفر بذلك وإن كان قوله مخالفًا للسنة، فتكفير كل مخطئ خلاف الإجماع، لكن للناس نزاع في مسائل التكفير قد بسطت في غير هذا الموضع -والمقصود هنا ـ أن ليس لكل من الطوائف المنتسبين إلى شيخ من الشيوخ أو لإمام من الأئمة أن يكفروا من عداهم، بل في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما»**

ولهذا **فالخطاب الإسلامي** ينبغي أن لا يكفر أحداً من الأمة المحمدية من دخل الدائرة الكبرى وهي دائرة التوحيد والاعتراف بالنبوة الخاتمة إلا أن يأتي بناقض غير محتمل عليه من الله برهان قاطع.

هذا الذي رجع إليه العلماء وارتضاه الفقهاء ورجع إليه من خاضوا بحور علم الكلام ودونوا مقالات أهل البدع وأهل الإسلام.

ولعلي اختم بكلمات للحافظ الذهبي وهي قوله: رأيت للأشعري كلمة أعجبتني وهي ثابتة رواها البيهقي، سمعت أبا حازم العبدوي، سمعت زاهر بن أحمد السرخسي يقول: لما قرب حضور أجل أبي الحسن الأشعري في داري ببغداد، دعاني فأتيته، فقال: **أشهد على أني لا أكفر أحداً من أهل القبلة، لأن الكل يشيرون إلى معبود واحد، وإنما هذا كله اختلاف العبارات..**

قلت: وبنحو هذا أدين، وكذا كان شيخنا **ابن تيمية** في أواخر أيامه يقول: أنا لا أكفر أحدا من الأمة، ويقول: قال النبي ﷺ: « لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن « **فمن لازم الصلوات بوضوء فهو مسلم**».(الذهبي سير أعلام النبلاء 15/ 88)

السمة الثالثة: التيسير على الناس ورفع الحرج

قال أبو **إسحاق الشاطبي**:«المسألة السادسة»: فإن الشارع لم يقصد إلى التكليف بالشاق والإعنات فيه والدليل على ذلك أمور:

أحدها: النصوص الدالة على ذلك كقوله تعالى﴿ **وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾{وقوله} ﴿**رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا**﴾ وفي الحديث: «قال الله تعالى قد فعلت» وقد جاء﴿ **لاَ يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَايُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ**﴾{و}**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** {و}**يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ ٱلإِنسَـٰنُ ضَعِيفاً**{و}**مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ وفي الحديث: «**بُعِثتُ بالحَنِيفية السمحة**» وحديث: «ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُما أَيْسَرُ من الآخَرِ إلاّ اخْتَار أَيْسَرَهُما مَا لَمْ يُكنْ إِثْماً فَإِنْ كَانَ إِثْماً كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ». وإنما قال:﴿ **لم يَكُنْ إثمًا**﴾ لأن ترك الإثم لا مشقّة فيه من حيث كان مجرد ترك إلى أشباه ذلك مما في هذا المعنى. ولو كان قاصداً للمشقة لما كان مريداً لليسر ولا التخفيف ولكان مريداً للحرج والعسر وذلك باطل.

والثاني: ما ثبت أيضاً من مشروعية الرخص وهو أمر مقطوع به ومما علم من دين الأمة ضرورة كرخص القصر والفطر والجمع، وتناول المحرمات في الاضطرار، فإن هذا نمط يدل قطعاً على مطلق رفع الحرج والمشقّة، وكذلك ما جاء من النهي عن التعمق والتكلف والتسبب في الانقطاع عن دوام الأعمال.

ولو كان الشارع قاصداً للمشقة في التكلف لما كان ثم ترخيص ولا تخفيف.

وأطال النفس قائلاً: إلى جزئيات كثيرة جداً يحصل من مجموعها قصد لرفع الحرج فإنا نحكم بمطلق رفع الحرج في الأبواب كلها عملًا بالاستقراء.

والتيسير قاعدة من قواعد الترجيح في الخلاف لما تقدم ومن مظاهر التيسير التعامل مع عامل الزمن.

ومن مظاهر التيسير النظر في مئالات الأفعال والأقوال واعتبار الأعراف والعادات. فالخطاب الإسلامي يجب أن يستوعب كل هذه القواعد ليكون أكثر نجاعة وجدة وتأثيراً لأنه أكثر تيسيراً وتبشيراً.

خلاصة القول: إن الخطاب الإسلامي يقوم على قواطع وثوابت علمت من الدين بالضرورة، هي أساس الدين ودعائمه كالألوهية والتوحيد والنبوة والرسالة ومكانة الإنسان في التشريع والكليات التي تحميه وتصوب حياته.

هذه الثوابت يجب أنْ تُوظف كل الأساليب العلمية في بيانها، وجمع الأمة حولها، وتقديمها للبشرية مدعومة بالحجج العلمية والبراهين العقلية ليهدي الله تعالى بها من يشاء من عباده. ولحسن حظنا وحظ الإنسانية ليس في ديننا ما يناقض العلم أو ينافي العقل، بل إن العلم والعقل خير معين على بيان صحة هذا الدين.

فهل أحسنا العرض وأجدنا الإبرام والنقض ؟

إنَّ الخطاب الجديد في عصر العولمة والقرية الكونية وطغيان القيم المادية الخالية من كل قيم إلاهية أو إنسانية نبيلة مما أوجد الإنسان الحسي أو الجسدي الذي يعيش لذاته مستغرقاً في لذاته فلا نبل ولا كرم ولا إيثار ولا تضامن ولا نظر في المئالات إلا مئالات الربح بلا روح والثروة بلا رائحة، إنه نذل لا غيرة له حسب ما يقول فوكوياما وهو الهلباجة في مفهوم الأعرابي وخلف الأحمر.

* **فالخطاب الإسلامي متسامح** لأنه يقبل الاختلاف ويتسع لمختلف وجهات النظر والآراء، فلا إنكار في مختلف فيه كما أصلنا ذلك، إذا كان اختلافاً معتبراً، ومن لا يستطيع إدراك طبيعة الاختلاف فليس من أهل الميدان ولا من فرسان الشأن.

* **والخطاب الإسلامي متصالح**: لأنه لا يكفر من دخل الدائرة الكبرى؛ إلا بناقض مجمع عليه قام عليه برهان قاطع.

* **والخطاب الإسلامي ميسر**: لأنه يتوخى مصالح الناس ويراعى ضعفهم ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾ والخطاب الإسلامي إنساني لأنه يرفع قيمة الإنسان. والخطاب الإسلامي ثابت صلب في جوهره مرن في تعبيراته.

ومع ذلك فإن خطابنا بقواطعه وثوابته راسخ رسوخ الجبال الراسيات شامخ شموخ الأطواد المشمخرات ولكنه في تفريعاته مائس مع رياح المصالح ميس فروع البان بنسائم الأسحار على وعساء الكثبان.

والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ـ الزركشي البحر المحيط 1/ 96

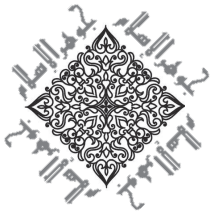

التعريف بكتاب تراجم الأعلام للعلامة الهمام فضيلة الشيخ محمد الفاضل بن عاشور رحمه اللّه وطيّب ثراه

بقلم الأستاذ: صالح العود

يطيب لي أن أعرّف القارئ أو القارئة بهذا الكتاب النفيس، والذي كان أصله مقالات ممتعة حرّرها الفقيد الهُمام ببنانه، ومجموعها (28)، نُشرت في حياته بعدّة مجلات شهيرة في زمانه، مثل: مجلة الثريا، والمجلة الزيتونية، ومجلة الفكر، وكلها مجلات تونسية فاخرة.

ثم رأت «إدارة الدار التونسية للنشر 70 شارع الحرية / تونس»، تولّي إعادة نشرها مجموعة في كتاب، يسهل الرجوع إليها، والاستفادة منها دون بحث أو عناء، وبالفعل تمّ لها ذلك، وصدر الكتاب في (354 ص) من القطع الكبير مقاس 13.5 × 21 سم وصدّرته بمقدمة حافلة، جاء في مطلعها ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

إسهاماً في الحفل الأربعيني الذي يقام بالمسرح البلدي يوم 29 ماي 1970 لذكرى فقيد الوطن: علم الفكر الإسلامي الحديث سماحة الأستاذ العلامة محمد الفاضل ابن عاشور مفتي الجمهورية وعميد الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، تقوم الدار التونسية للنشر التي منيت بفقده بموته موجهاً خبيراً وقيماً على التراث نافذ النظر دقيق الحس، بإصدار كتاب «تراجم الأعلام» له . اهـ

والكتاب صدر في نفس السنَة التي تُوُفّي فيها الراحل (1390 هـ = 1970 م). رحمه الله تعالى رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار.

والفقير إلى الله تعالى يملك نسخة منه شراء في شبابه من إحدى مكتبات صفاقس العتيقة.

ومن أهمّ الأعلام – وكلهم تونسيون – الذين ترجم لهم العلامة الهُمام الإمام محمد الفاضل بن عاشور رحمه الله، هؤلاء:

* الشيخ أحمد الورتاني / ص 59
* شيخ الإسلام محمد الشاذلي بن صالح / ص 69
* قاضي الجماعة محمد الطاهر النيفر / ص 79
* شيخ الإسلام أحمد بن الخوجة / ص 91
* شيخ الإسلام أحمد بيرم / ص 103
* الشيخ محمد السنوسي / ص 115
* العلامة الرئيس الشيخ مصطفى رضوان / ص 129
* الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور / ص 139

وهكذا ظل الشيخ يملي بلسانه، ويحرر ببنانه: عليّة القوم، وأهل الصدارة في المجتمع التونسي ممّن لهم صولة وجولة إلى أن وصل إلى الترجمة الأخيرة في الكتاب وهي: **محمد الشاذلي خزندار**، والذي كانت تربطه به علاقات وشيجة، يعبّر عنها، ويصفها بقوله:

«كان ذا شخصية غريبة سامية، ربطتني به صلات وثيقة من العلاقة الموروثة، وتناسب الأدب، واطراد المقابلة، وعظيم إعجابي به، وكريم تواضعه لي . وعلى ما يفصل بيني وبينه: من فواصل السن، وتباعد الوجهة، فقد أصبح لي صديقاً حميماً، تمكنتُ، بما بيني وبينه من صفاء المودة، أن أستجلي روحه، وأنفذ إلى منبع الإحساس من نفسه، وفيض العبقرية من خاطره . وأن أسايره في تفكيره، وتقديره، وحكمه، فأتعرف إلى العوامل والمؤثرات، التي طبعت أدبه بالطابع الذي برز به».

وقد استغرقت هذه الترجمة (14 صفحة).

تحدِّيَات العالَم الإسلامي والإرهاب[1]

فضيلة الشيخ أحمد الطيب شيخ الأزهر

كلمتي التي يُسعدني أن أطرَحَها على مسامع حضراتكم، مِمَّا يتعلّق بموضوع تحدِّيَات العالَم الإسلامي والإرهاب، فما أظنُّ أني سأتلُو عليكم فيه جديدًا لم تعرفوه من قبل . . فقد قَتِل بحثًا .. ومحاضراتٍ وندواتٍ ومؤتمراتٍ، حتى اعتقد البعض أنه لم يعد يقبل المزيد من البحث والنظر من كَثْرَةِ مَا كُتِبَ عنه، وما أُنفِقَ فيه من جهدٍ وطاقاتٍ وأموالٍ، لكن لا ينبغي، بل لا يجوز، أنْ نتوقَّف عن الحديث عنه، أو نَصْمُتَ لحظةً عن التَّنبيه إلى خَطَرِه وتأثيرِه البالغِ السُّوءِ على الإسلام والمسلمين.

والإرهاب ظاهرةٌ شديدة التَّعقيدِ والغموضِ إذا ما رُحتَ تحاوِلُ التَّعرُّف على أسبابها الحقيقيَّةِ، أو تحاول البحثَ عن حلٍّ لهذا التناقض الشَّديد بين أسباب هذه الظاهرة ونتائجها في واقع الأمر .

[واقعيًّا . .. المسلمون هم ضحايا الإرهاب]

فحسب نظريّةِ (الإسلاموفوبيا)[1] ؛ يجب أن يُفسَّر الإرهاب بأنَّه ظاهرةٌ (إسلاميَّةٌ)، نشأت في أحضان نصوص القرآن الكريم والسّنَّة المطهَّرة، ويجبُ، حسب هذا المنطق، أن يكون (غيرُ المسلمينَ) هم المستَهدَفين بهذا الإرهاب، ولكن انظروا إلى الواقع على الأرض، لتجدوا أنَّ المسلمين هم ضحايا هذا الإرهاب، وأنهم المستهدَفُون بأسلحته وبطريقته البَشِعة في القتل وإزهاق الأرواح، وأنَّ ضحاياه من غير المسلمين عدَدٌ لا يكاد يُذْكَر إلى جوار آلاف المؤلَّفة ممَّن سُفِكَتِ دماؤُهم المعصومة على مرأَى ومَسمَعٍ من ضمير العالَم المتحضِّرِ، وتحت سَمْعِ وبصَرِ مؤسَساته الدَّوليَّة التي

(1) من محاضرة ألقيت بمركز المؤتمرات الدولي في بروناي بتاريخ 21 شعبان 1439 / الموافق 7 ماي 2018م.

نصَّبَت من نفسها ضامنًا لسلام الشُّعوب وأمنها، وحاميًا لحريَّات الإنسان وحقوقه في حياةٍ آمنةٍ وعيشٍ كريمٍ في ظِلال السَّلام .

وانظروا أيضًا إلى خريطة العالَم وتعرَّفوا على الشُّعوب التي دفعت – وَحْدَها– (فاتورة) هذا الوَباء، وسوف تجدون مرَّة ثانيةً أنَّ دولًا من عالمنا العربي والإسلامي هي التي قُدّمت «قُربانًا» على مذابح (الفوضى) التي تقود العالَم الآن.

وقد نَفهمُ إمكانَ أن يَنشأ إرهابٌ في أحضان بعض المسلمين يتعقَّبُ غيرَ المسلمين ذبحًا وفتكًا وتشريدًا، أو إرهابا ينشأ في أحضان المسيحيّين ليتعقّب المسلمين إبادة واجتثاثًا من الجذورِ، كما حَدّث في القُدس والشام في (حروب الفرنجة)، أو ما يُعرف عند الغرب ب(الحروب الصليبية»، ولكن لا نفهم إرهابًا مسيحيًّا ضحاياه من المسيحيِّين دون غيرهم، ولا إرهابًا إسلاميًّا يستهدف المسلمين دون غيرهم – فهذا هو التَّناقض في الحدود، الذي يُفسد القضايا ويُفرِّغها من أي معنَى منطقي، ويُحيل القضية برُمَّتها إلى محض سفسطة ومغالطات .

[قوة خفية تصرُّ على إساءة فهم الإسلام]

لقد هبَّ العالَم الإسلامي بحُكَّامه وبعلمائه ومُثقَّفيه وكُتابه وكلّ شُعوبه، ليَستنكر حادثة الإرهاب المشهورة بحادثة 11 سبتمبر من عام 2001م، تلكم الحادثة التي استهدفت مئات الضحايا من الأرواح البريئة التي أزْهِقَت ظلمًا وعدوانا، ومنذ وقوع هذا الحادث الذي هزَّ ضمائر المسلمين قبل غيرِهم – وحتى اليوم لا تَكْفُّ الألسنة والأقلام عن إدانة «الإرهاب)» و«الإرهابيين»، ولا عن التأكيد على أن هذه الفئة الشاردة الضالَّة لا تمثّل الإسلام وإن مارست جرائمها باسمه، وتحت لافتته، وأن هؤلاء مجرمون محاربون للَّه ورسوله، ومُفسدون في الأرض، ولهم جزاء معلوم في كتاب اللَّه وسُنَّة رسوله . ورُغم هذا الموقف الصريح المُعلَن، لا زالت (الاتهامات) الجائرة تشوِّه سُمعة هذا الدِّين الحنيف، وتخوِّف الناس من المسلمين ومن دِينهم، مما يدلُّنا – بصورةٍ مباشرة أو غير مباشرة – على أن هناك قُوَّةً خفيَّةً متربصة تُصِرُّ على إساءة فهم الإسلام وسُوءِ الظَّنِّ بالمسلمين، وتَشويهِ سُمعة دينهم، واستخدام منهج انتقائيٍّ في قراءة نصوصِ القرآن الكريم والسُنَّة النَّبويَّة الشَّريفة بعد اجتزائها وإخراجها من سياقاتها التي لا يتّضح معناها الحقيقيُّ إلَّا على ضوئها ودَلالاتِها المحدَّدةِ.

ورُغم أنهم يعلمون عِلْمَ اليقين أن منهجهم هذا لو طَبّقُوه على الكتب المقدَّسة الأخرى التي يؤمنون بها ؛ فلن يَسلَم لهم دينٌ من الأديان السَّماويَّة من تُهمة الإرهاب

وقَطْعِ الرُّؤوس وإحلالِ السَّيفِ محلَّ السَّلام، وإبادةِ الأبرياء من النّساء والأطفال، بل الحيوان والنَّبات والجماد .

[السياسات الجائرة الحاضنة الرؤوم لتنمُّر الإرهاب وتغوّله]

كثيرٌ من كبار المحلَّلين من الغرب والشَّرق رَصدُوا ظاهرة الإرهاب . . وحاولوا سَبْرَ أغوارها، وتنبَّهوا إلى أن عودة (السَّلام العالَمي) ليعمَّ العالَم كلَّه، تقف في وجهه تحدياتٌ كثيرةٌ، أهمُّها ما ظهر في أعقاب نهاية الحرب (الباردة) من نظريات سياسية تُؤصِّل للصِّراع بين الأديان والحضارات، وترى في الإسلام والثقافة الإسلامية عدوًا للحضارة التي وصَفَها بعضُ المنظِّرين السِّياسيِّين الغربيْن بأنها نهاية الحضارات أو نهاية التاريخ، وبات الباحثون المنصفون على يقينٍ من أنَّ هناك فلسفة تَحكُم السياسات الدّوليّة تقوم على مبدأ صراع الحضارات، واستنفار الطاقات لمواجهة الإسلام كعَدوٍّ أوَّلَ في حَلَّبةِ هذا الصّراع. . وقد وجدوا في هذا العَدُوّ فَرصة ذهبيّة لتوحيد كلمة الغرب، وتجنُّب النّزاع الذي قد يُفضِي بهم إلى حروب داخلية، وهم قد جرَّبوا عواقبها المدمرة من قبل، ولا يَسمحُون بتكرارها مرَّةً أخرى؛ حِرصًا على شُعوبهم وصونا لدماء أبنائهم، وحفظًا لمقدَّرات حضارتهم ومكتسباتها التي حقَّقُوها بالعَرَق والعمل الجاد المسؤول . .

وفيما أعتقد فإن هذا الجوَّ، أو هذه الظُّروف السياسيَّة المعقَّدة، هي أنسب الظُّروف التي يجبُ أن نبحث فيها عن «الإرهاب» : نشأةً وأسبابًا ومقاصدَ وغاياتٍ، وأن السياسات الجائرة هي البيئة الطبيعية لولادة «الإرهاب» والحاضنة الرَّءوم لتَنَمُّرِه وتَغَوُّلِه، وليست نُصوصُ القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة، بل ولا الكُتُب التي أنزلها اللَّه على رُسُله وأنبيائه، هي المسئولة عن هذا الإرهاب الذي تدمر طاقاتُه التَّدمِيريَّةُ دُولًا بأكملها، وينتقل بمعدَّاته الثقيلة وجيوشه الكثيفة بين عدة دول في عالمنا العربي، وفي حرية وغطاء وتأمين يحسد عليها .

ونحن نتساءل: مَن وفَّر له هذا الأمن؟ ومن سمح له باختراق الحدود؟ ومن يدعمه بالمال والسلاح والتدريب؟ نتساءل عن كل ذلك في الوقت الذي يتردد فيه على اسماعنا أن أية ذبابة تطير فوق البحر الأبيض المتوسط فإنه يمكن رصدها والسيطرة عليها . .

فهل نصوص القرآن الكريم تصلح تفسيرًا لكل هذه الأهوال التي تندلع فجأة هنا وهناك ويكون المسلمون وَحْدَهم وقودَها وضحاياها؟

[فلسفة الإسلام لا تعرف مبدأ الصراع ولا التصنيف]

إنَّ البحث النَّزيهَ المنصفَ لا بدَّ له من أن ينتهيَ إلى أنَّ الإسلام بريء من هذه البربريَّة الهمجيَّةِ، ولا علاقةَ له بها، لانشأةً ولا غايةً ولا دعمًا، بأي لونٍ من ألوان الدَّعم . كيف وفلسفةُ الإسلام في التَّعامُل مع الآخَرينَ لا تَعرِفُ مبدأ الصِّراع، ولا التَّصنيف بين أسودَ وأبيضَ، ولا بين شرقيٍّ وغربيٍّ، وإنَّما تَعرِف مبدأ واحدًا فقط في معاملة النّاس هو : المبدأ التعارف»؛ الذي يعني التَّفاهم والتَّعاون وتبادل المنافع والمصالح: ﴿**يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُم مِن ذَكَرٍ وَ أنثى وجعلناكم شعوبا وَقبَائِلَ لِتَعَارَفُوْا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أتقاكم إِن الله عَليمٌ خَبِيرٌ** 13﴾ [الحجرات: 13]، وهذه الآية الكريمة، رغم تداولها على ألسنة الكثير من المسلمين وغير المسلمين،

فإن كثيرًا أيضًا قد لا يتنبَّه إلى أنها تُذَكِّرنا – أوَّلًا – بوَحْدَة الأصل وأخوَّة البشريَّة والتقائها بكلِّ شُعوبها في أبٍ واحِدٍ وأمٍّ واحدةٍ. . وأنَّه لا مَفرَّ لكي تستقيمَ الحياةُ ويتحقَّقَ مرادُ اللَّه من خِلافة الإنسان في الأرض، لا مَفَرَّ من أن يكون «التَّعارفُ» هو الإطار الحاكم للعلاقات بين الناس .

وقد أكَّدَ نبيُّ الإسلام صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ في خطبته في حَجَّة الوداع، وهي الخطبة الأخيرة التي كانت بمثابة «الدستور» النهائي الموجَّه للناس كافة، وليس للمسلمين وحدهم، أكد مبدأ حرمة الدماء والأعراض والممتلكات، فقال: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ**) قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: (**اللَّهُمّ اشْهَدْ**) جزء من حديث جابر الطويل الذي رواه مسلم 2 / 886 (1218)

(الحرب في الإسلام استثناء لا يلجأ إليه إلا لضرورة)

من هنا كان من المستحيل أن يَأمُر القرآنُ بالحروب التي تُفضي إلى القتل وسَفك الدِّماء وتشريد الآمِنينَ، وجَنّي الأرباح الاقتصادية الهائلة من مصانع الموت والتَّدمير والتَفجيرِ، ومن هنا – أيضًا – كانت الحرب في الإسلام استثناء لا يُلجَأُ إليه إلَّا في الضَّرورات القُصوَى التي لا مَحيدَ عنها بحالٍ من الأحوال . . وهذه هي نصيحةُ القرآن الكريم: – ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾[البقرة: 208].

– ﴿**وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ**﴾ [الأنفال: 61).

– ﴿**وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ**﴾ [البقرة: 190).

وهي نصيحةُ نبيّ الإسلام ﷺ: «لَا تَمنوا لِقَاء الْعدوُ واسَألُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ» (البخاري 4/ 77 (3025).

ويتساءلُ كثيرونَ: إذا كان الأمرُ كذلك فلماذا قاتلَ الإسلام غير المسلمين كما هو معلومٌ من التَّاريخ؟ والجواب أن الإسلامَ لم يُقاتِل أحدًا تحت بَنْد (الكُفر)، وكيف يُتصوَّر ذلك والقرآن الذي يصطحبه جيشُ المسلمين في رحالهم يقول: ﴿**فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ [الكهف: 29]

وكيف يَشُنُّ المسلمُ حربًا لإكراه الناس على الدُّخول في الإسلام وهو يتلو في قرآنه: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ [البقرة: 256]؟ نعم، لا يقاتل الإسلام تحت راية الكُفر أو الإكراه على الدّين، وإنما يقاتل تحت مبدأ «ردّ العدوان» «ورَدْع المُعتدي»، سواء كان هذا المُعتدي كافرًا أم مؤمنًا. ﴿**وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ ٱللَّهِ**﴾ [الحجرات]: 9)، ففي هذه الآية يأمُرُنا اللَّه تعالى أن نقاتلَ المؤمنين البُغاة المعتدِين على النَّاس. وهذا الأمرُ آكَدُ في الوجوب إذا كان المعتدِي من غير المؤمنين؛ لأنه يكون أكثرَ فَتْكًا وأشدَّ أذًى.

(نبذ التفرقة والخلاف ضرورةٌ لنهضة العرب والمسلمين]

هذه هي أهمُّ التَّحديات التي تواجِه المسلمين اليوم وهم يتطلَّعُون إلى إطفاء نيران الحروب التي اشتعلت في ديارهم، وإلى حقهم في الأمن والسَّلام والعيشِ الكريم كبقيّة خَلْقِ اللَّه **والذي أعتقدُه جَزمًا ويقينًا أنَّ أمَّةَ العرب والمسلمين قادرةٌ على تحقيق هذا الأمل؛ إذا ما استطاعت أوَّلًا أنْ تُنهيَ ما بينها من خلاف وفُرقةٍ وصراعٍ بدّد طاقتَها وأوهنَ عزيمتها، وهي قادرةٌ على أن تَقطَعَ الطَّريق على العابثين بوَحْدَتها وأُخوَّتِها، والعازفين لها على أوتار الطَّائفيَّةِ والعرقيّةِ والمذهبيَّةِ، وذلك ما استمعوا لقول اللَّه تعالى**: ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ [الأنفال: 46]، استماع تذكر وتدبرٍ وطاعةٍ وتسليمٍ، ﴿**أَفَلَا يَتَدبَرُونَ الْقُرَءان أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ محمد: 24].

*** وعلينا ونحن نتصدى لتحديات الإرهاب أن نَلتفتَ جيدًا إلى مناهج التعليم في بلاد المسلمين، وبخاصةٍ في مراحله: الابتدائيَّةِ والإعداديَّة، وأن نقدِّم الإسلامَ للنَّاشئة كما أنزله اللَّه تعالى وبلَّغه رسوله هذا الإسلام الذي مَكّن أتباعه من إضاءة العالَم وتَمْدينه وترقيتِه وتَحضُّرِه ولَمَّا يمضِي قَرنٌ أو قرنان على انتقالِ صاحب الرسالة (صلوات اللَّه عليه) إلى الرَّفيقِ الأعلى.**

الأربعون النووية :
الحديث السادس والثلاثون:
أبواب الخير والمعروف

بقلم : الأستاذ محمد صلاح الدّين المستاوي

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال : من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» رواه مسلم

راوي هذا الحديث هو أبو هريرة رضي الله عنه وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه وهو حديث جامع لأبواب كثيرة من أبواب الخير دل عليها رسول الله ﷺ أمته لتتنافس فيها وتستزيد منها، والناظر في هذه الأبواب التي تضمنها هذا الحديث الشريف يتأكد لديه أن المولى سبحانه وتعالى الغني عن عباده والذي لا تنفعه طاعاتهم ولا يضره كفرهم ولا معاصيهم والذي يريد من عباده ويعد لهم بسببه الأجر العظيم والثواب الكبير إنما هو نفعهم لبعضهم البعض وقد ورد في الحديث الشريف أن «**أحب العباد إلى الله انفعهم لعباده**» كما ورد في الحديث القدسي قوله سبحانه وتعالى فيما يرويه عنه رسول الله ﷺ «**يقول الله تبارك وتعالى يا ابن آدم مرضت ولم تعدني؟ فيقول العبد لربه كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول المولى سبحانه وتعالى : أما علمت**

أن عبدي فلان مرض أما انك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم، استطعمتك فلم تطعمني؟ فيقول العبد كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول الله تبارك وتعالى استطعمك عبدي ولم تطعمه أما انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي...» الخ ذلك الحديث القدسي العظيم الشأن المكرس لهذه الخاصية الأساسية في دين الإسلام والمتمثلة في إن رضوان الله وجزاءه الأوفى والأوفر يحصل عليه عباد الله المؤمنون بما يسعون إلى تحقيقه من نفع لإخوانهم. وهذا الحديث الشريف يركز هذا المعنى.

تفريج الكرب

يقول رسول الله ﷺ **«من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»**.

والتنفيس هو الإزالة والكشف والتنفيس على المؤمن خاصة لأنه الأولى والأقرب وإلا حتى غير المؤمن داخل في الوعد بنيل الأجر والثواب عند تفريج كربه.

والتنفيس يكون بشتى الوسائل والطرق : بالكلمة وبالجاه والدعاء وبالمال وبالقوة البدنية، والكربة هي الشدة والضيق والعسر، ومن كان في كربة هو في ضيق مادي ومعنوي، تضيق عليه الأرض بما رحبت وتضيق عليه أنفاسه فيكاد يختنق فمن كان بجانب مكروب ويفرج له كربه موعود بعظيم الأجر وجزيل الثواب قال رسول الله ﷺ **«من فرج عن مسلم كربة جعل الله تعالى له يوم القيامة شعبتين من نور على الصراط ليستضيء بضوئهما ما لا يحصيهم إلا رب العزة»** أخرجه الطبراني.

دعاء تفريج الكرب

والمكروب المصاب المبتلى مدعو إلى ان يتوجه بالدعاء إلى مفرج الكروب وميسر الأمور وقاضي الحاجات ومغير الأحوال بقوله إن المولى سبحانه وتعالى الذي هو على كل شيء قدير والصيغ في الاستغاثات والدعوات والضراعات كثيرة عديدة لا تحصى والمهم هو الحضور الكامل والثقة التي لا ريب معها في ان الله على كل شيء قدير لا يعجزه أمر مهما عظم.

ومن أدعية كشف الكرب **«لا اله إلا الله العظيم الحليم، لا اله إلا الله رب العرش العظيم، لا اله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم، لا اله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين يا حي يا قيوم برحمتك استغيث اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين**

وأصلح لي شأني كله لا اله إلا أنت الله ربي لا أشرك به شيئا لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ويقرأ آية الكرسي وخواتيم البقرة».

وماذا تساوي كروب الدنيا بالنسبة لكرب يوم القيامة؟ ذلك اليوم الذي تشيب من هوله الولدان وتضع فيه كل ذات حمل حملها وترى الناس فيه سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فمن فرج لمكروب كربا من كروب الدنيا فرج الله له كربا من كروب يوم القيامة إنها دعوة من الله سبحانه وتعالى لعباده كي يقدموا لأنفسهم ما يجدونه غدا عند ربهم فعند الله لا تضيع الودائع انه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، الذي ينفع هو العمل الصالح إذا كان قدمه العبد في عاجل حياته الدنيا.

من يسّر على معسر يسر اللّه عليه

ثم يقول رسول الله ﷺ **«ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة»**.

والتيسير على المعسر يكون بطرق مختلفة منها الصدقة ومنها الهبة ومنها إبراء الذمة أو التوسيع في الأجل والمعسر هو من عليه دين ولم يستطع أداءه فمن ييسر على معسر ييسر اللّه عليه في الدنيا والآخرة بان يبلغه كل ما يريد بأيسر السبل والوسائل وهذا مشاهد معيش في حياة الناس.

والميسر على المعسر ينال جزاء مضاعفا في الدنيا وفي الآخرة والله لا يخلف وعده وقد ورد في الحديث الشريف «من انظر معسرا ووضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وفي رواية «**وقاه الله من فيح جهنم**» وفي حديث آخر يقول رسول الله ﷺ **«من نفس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة»** وفي حديث آخر **«من انظر معسرا فله كل يوم مثله صدقة قبل أن يحل اجل الدين فانظره بعد ذلك فله لكل يوم مثلاه صدقة»**.

وروى الشيخان **«إن رجلا كان يداين الناس وكان يقول لفتاه إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا فلقي الله عز وجل فتجاوز عنه»**.

وفي رواية للنسائي **«فإذا بعثته يتقاضى قلت له خذ ما تيسر واترك ما تعسر وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا قال الله تعالى قد تجاوزت عنك»**. وقال رسول الله ﷺ فيما رواه ابن أبي الدنيا قال **«من أراد أن تستجاب دعوته وتنكشف كربته فليفرج عن المعسر»**.

*** من يظلهم تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله**

وقد أضيف من انظر معسرا إلى السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وهم «**الإمام العادل، والشاب الناشئ في طاعة الله والرجل المعلق قلبه بالمسجد والمتحابان في الله والرجل الذي دعته امرأة ذات مال وجمال فقال إني أخاف الله والرجل الذي يتصدق بصدقة فيخفيها حتى لا تدري شماله ما أنفقت يمينه والرجل الذي ذكر الله خاليا ففاضت عيناه بالدموع**».

وقد أضيف إلى هؤلاء من انظر معسرا أو وضع عنه ومن أوفى دين الغارم ومن أعان مكاتبا «الذي يريد أن يحرر رقبته» ومن قتله أهل الكتاب على الإسلام ومن أعاد صلاته في جماعة ومن مات غريقا في البحر ومن طلب علما فأدركه الموت دونه ومسبغ الوضوء في وقت البرد ومن اشترى أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم اعتقها وتزوج بها ومن انفرد في عصره بحفظ السنة والإمام والمؤذن احتسابا (دون اجر مادي) ومن أخفى عمله الخير وإذا ظهر عليه فرح واستبشر بتوفيق الله ومن جامع يوم الجمعة من يحل جماعها واغتسل وراح للصلاة ومن ذهب ماشيا لصلاة الجمعة ومن عاد عليه سلاحه في الجهاد فقتله ومن أعجله فعل الخير عن لبس نعليه والماشي ليشيع الجنازة ومن شيع جنازة لاستيائه من أهلها والمجاهد لإعلاء كلمة الله ومستمع قراءة القرآن والقارئ في المصحف ومن قرأ القرآن فأعربه أي تفهمه وتدبره والعبد المؤدي حق الله وحق مواليه ومن جدد الوضوء على الوضوء من غير نقص للأول وأزواج النبي ﷺ والمتصدقة على زوجها ومن صدق في تجارته ومن حسن خلقه ورجل تعلم القرآن في صغره ويتلوه في كبره ورجل يراعي الشمس لمواقيت الصلاة ورجل إن تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت عن علم».

وغير ذلك مما استوفاه الحافظ السخاوي في كتابه المسمى «الخصال الموجبة للظلال» حيث نقل فيه عن شيخه ابن حجر ثلاث سبعات زيادة على السبعة المذكورة وأكملها هو اثنين وتسعين، وقد أورد كل ذلك الشيخ الشبرخيتي في شرحه لهذا الحديث من أحاديث الأربعين النووية ونقلناه عنه تعميما للفائدة وتحصيلا للأجر ودلالة على الخير وتبيينا لسعة رحمة الله وكرمه وجوده على عباده فالحمد لله رب العالمين.

*** من ستر مسلما ستره اللّه**

«ومن ستر مسلما ستره اللّه في الدنيا والآخرة» وهذا باب آخر من أبواب الخير وميزة من مميزات دين الإسلام فالله تبارك وتعالى اسمه الستار وهو يأمر عباده بالستر

وليس من الإسلام كشف عورات المسلمين ولا فضحهم وكشفهم «**فمن ستره الله فأمره إلى الله إن شاء عذبه وان شاء عفا عنه**».

والأمر بالستر ينبغي أن يطلق فلا يقيد فيكون بالستر الفعلي لمن رأى عورة مكشوفة فعمل على سترها وإخفائها عن الأعين ويكون ذلك بعدم إشاعة الفاحشة والحديث بها وعدم النيل من أعراض الناس بالباطل أو بالحق وقد ورد في الحديث «**هلا سترته بردائك**».

ودعاء المسلم هو طلب الستر في الدنيا والآخرة وفوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض. فمن كسا عاريا وستر مسلما بلباس يستره الله في الدنيا والآخرة.

وما أحوجنا نحن عباد الله الضعفاء إلى أن يسترنا الله وما أحوجنا إلى أن لا يكشف المستور منا عن الأعين فلو كشفنا الله لبعضنا البعض لما تدافنا نكاية في بعضنا البعض قال رسول الله ﷺ «**من رأى عورة فسترها فكأنما أحيا موؤدة**» رواه النسائي وأبو داود. **وقال عليه الصلاة والسلام «لا يرى امرئ من أخيه عورة فيسترها إلا دخل الجنة».**

الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه

«والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» وهذا باب آخر من أبواب البر والإحسان والإحراز على مرضاة الله فالراحمون يرحمهم الرحمان «**وارحم من في الأرض يرحمك من في السماء**» وقد قال رسول الله ﷺ «**من سعى في حاجة أخيه المسلم قضيت له أو لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق**» وإعانة العباد وقضاء حوائجهم مقدمة في الإسلام على النوافل: صلاة وصياما وحجا.

* طالب العلم سالك لطريق الجنة

«**ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة**».

وطلب العلم عبادة في دين الإسلام وهو فريضة وهو مقدم أيضا على كل الطاعات الأخرى سوى الفرائض لأن مكانة صاحب العلم عالية في دين الإسلام «**إنما يخشى الله من عباده العلماء**» «**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**» إذ بالعلم يتوصل إلى الإيمان الصحيح الراسخ وبالعلم يعرف الخير من الشر والهداية من الضلالة والحلال من الحرام والعلماء ورثة الأنبياء.

* فضائل ذكر الله والاجتماع عليه

«وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه إلاَّ نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده».

ومجالس الذكر هي رياض الجنة قال رسول الله ﷺ **«إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة؟ قال حلق الذكر»** وقال في خصوص الذاكرين **«هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»** وذاكر الله موعود بان يذكره ربه **«اذكروني أذكركم»** فمجالس الذكر في بيوت وهي المعدة لذلك **«في بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه»** **«وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا»** أو في غير بيوت هي مجالس خير ورحمة وبركة وسكينة وأفضل الذكر كلام الله العزيز «الذكر العزيز» الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أفضل ما يتقرب به إلى الله **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته).**

فقراءة القرآن عن فهم أو عن غير فهم وتدبره وتدارسه أعظم الطاعات والقربات فمن اجتمعوا على كتاب الله يقرؤونه ويتدارسونه تتنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة وتحفهم الملائكة إلى عنان السماء ويذكرهم الله فيمن عنده ومن عند الله ملأ كريم من الملائكة المقربين المنزهين الأطهار.

العمل هو المحقق لمرضاة الله

ويختم رسول الله ﷺ هذا الحديث العظيم بقوله **«ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»** وهي دعوة من رسول الله ﷺ إلى العمل فقد قال لآل بيته **«لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم»** فالتقوى هي وحدها المقربة من الله وهي وحدها التي يستحق بها العبد الجزاء الأوفى والأوفر من الله **«إن أكرمكم عند الله اتقاكم»** فالألوان والأجناس والأنساب والأموال وسائر المظاهر ليست هي التي تقرب من الله **«إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى وجوهكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»** فالعمل الصالح هو الذي يرفع درجة العبد فإذا اجتمع إلى العمل الصالح النسب الشريف والأصل الكريم فبخ على بخ.

ذلك هو دين الإسلام وتلك هي تعاليمه وهدي نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام **«من أبطأ به عمله فكان قليلا أو عملا غير صالح لن يسرع به نسبه»** لقد أبطأ النسب بابي جهل وأبي لهب بكفرهما بما جاء به رسول الله ﷺ وسارع ببلال وعمار وصهيب وسلمان عملهم الصالح وإيمانهم برسول الله ﷺ وبالدين الذي جاء به من عند الله، دين الإسلام الحنيف العظيم الرائع الجميل الداعي إلى كل خير وصلاح وفلاح.

أدوات صناعة الفتوى في المدونات الأصولية القديمة

بقلم الدكتور قطب مصطفى سانو

الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي

في أدوات صناعة الفتوى في المدونات الأصولية القديمة

يحاول هذا الفصل قراءة معرفيَّةً في تلك الأدوات التي اعتبرها أهل العلم بالأصول أهمَّ العلوم والمعارف التي يجب على من يرغب في ممارسة صناعة الفتوى التشبع بها، وإتقانها إتقانًا دقيقًا، وتروم هذه القراءة إبراز تلك التطورات التي كانت تطرأ على الأدوات المؤهِّلة للإفتاء سواء أكان سبب ذلك عائدًا إلى نشوء علوم ومعارف لم تكن موجودة قبل زمان أولئك العلماء، أم كان السبب عائدًا إلى ظهور صنوف من التحدِّيات يقتضي التعامل معها إجادة فنونٍ من العلوم والمعارف في ذلك الزمان، تقريرًا وتأكيدًا على الأدوات المؤهّلة للإفتاء كانت وستظل محل تطوُّر وتغيُّر دائبين مستمرين. فهلمَّ بنا إلى جنبات هذه القراءة الأخرى من قراءاتنا المعرفيَّة الإبستمولوجيَّة الهادئة.

المبحث الأول : في مصطلح أدوات صناعة الفتوى

بالعودة إلى المدوّنات الأصوليّة والفقهيّة يجد المرء تنوعًا في استخدام المصطلح الذي يعبّر عن تلك العلوم والمعارف والآداب والخصال التي يجب توافرها فيمن يروم صناعة الفتوى، والتوقيع عن ربّ العالمين، فبعض المدوّنات تذهب إلى استخدام مصطلح شروط الإفتاء للدلالة على هذه العلوم والمعارف والآداب والخصال، وتذهب مدوّنات أخرى إلى استخدام مصطلح أدوات الإفتاء، وأدوات الفتيا للدلالة على ذات المعنى، وتنتهي طائفة ثالثة من المدّونات إلى استخدام

مصطلح مؤهلات الإفتاء، بل إن جماعة من أهل العلم بالأصول يستغنون عن استخدام هذه المصطلحات كلها باستخدام مصطلح صفة المفتي.

وبالتأمل الدقيق في هذه الإطلاقات المتعددة، نجد أنّ ثمة فروقًا دقيقة بينها؛ فمصطلح الشروط ينصرف إلى ما يجب توافره فيمن يرغب في صناعة الفتوى في عصر من العصور، ويشمل ضرورة توافره على جملة حسنة من العلوم والمعارف والآداب التي يتوقف على إجادتها وتوافرها صحة الإقدام على صناعة الفتوئ، وذلك انطلاقًا من أنّ الشرط عند أهل العلم بالأصول يراد به ما يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته، ما يترتب على عدم وجوده وجود الشيء، ولكنه لا يترتب على وجوده وجود الشيء أو عدمه.

وبناء على هذا، فإنّ مصطلح شروط الإفتاء ينتظم ضرورة توافر أمور يؤدي انعدامها إلى انعدام الإفتاء، وتشمل تلك الأمور فيما تشمل العلوم والمعارف المكتسبة الواجبة التوافر فيمن يرنو إلى صناعة الفتوى، كما تشمل أمورًا غير مكتسبة، كالذكاء، والفطنة، وفقه النفس، والحلم، والوقار، وسواه، بل إنّها تشمل ما يصطلح عليه اليوم بآداب الفتيا، كالتواضع، والرفق، والسكينة وسواها.

ومردّ هذا كله إلى المراد العلميّ بمصطلح الشرط في الدرس الأصولي(1)، ولهذا، فإنّ استخدام شروط الإفتاء يقتضي نوعًا من التفصيل والتقييد والتحديد اعتبارًا بأنّ ثمة فرقًا بين ما يمكن تسميته بالشروط العلميّة، والشروط الموضوعيّة، والشروط الخلقيّة.

فالشروط العلميّة عبارة عن تلك العلوم والمعارف الكسبيّة التي يمكن للمرء حيازتها والإشراف عليها، وأما الشروط الموضوعيّة، فإنّها تعدّ أمورًا غير مكتسبة، بل هي أمور فطريّة ينشأ عليها المرء، وعلى رأسها الذكاء، وفقه النفس، والحلم، والوقار، وأما الشوالقية ا م الداب العامّة والأمو التكميليّة التي تجعل فتاوئ المرء مقبولة لدى المستفتي، وتشمل الإسلام، والنية، والعدالة، والإخلاص، وسوى ذلك.

وبناء على هذا، فإنّ صناعة الفتوى تحتاج إلى توافر هذه الشروط كلها في المرء بحيث إذا اختل أيّ منها لم يصح له التصدي لهذه الصناعة، مما يعني أنّ توافر الشروط الموضوعيّة وحدها أو الشروط العلميّة وحدها غير كاف للتصدي لصناعة الفتوى المقبولة.

وأما مصطلح أدوات صناعة الفتوى، فإنّه يراد به تلك العلوم والمعارف الكسبيّة التي يجب على الراغب في الإفتاء التمكن منها بغية استخدامها وتوظيفها عند الهمّ بالتوقيع عن ربّ العالمين، فهذه العلوم والأدوات تعد وسائل ضروريّة ينبغي

الاستعانة بها من أجل الوصول إلى مراد الشرع، ومن أجل توقيع ذلك المراد الإلهيّ في الناس والواقع الذي يعيشون فيه. وأما مصطلح مؤهّلات الإفتاء، فإنّه ينصرف عند إطلاقه إلى تلك العلوم والمعارف التي تصير المرء أهلا لممارسة الإفتاء والقيام بمهمة التوقيع عن ربّ العالمين، وتعدّ هذه العلوم والمعارف كسبيّة في ذاتها، حيث إنّ التمكن منها لا يتوقف على شيء سوى بذل الجهد واستفراغ الطاقة في التحصيل والطلب، فمن تمكن من تلك العلوم والمعارف أمسى أهلا للإفتاء، كما يضحى مرفوعًا عنه المؤاخذة والإثم عند الله، ذلك لأنّه يعدّ بعدُ من أهل الاجتهاد، وأهل الاجتهاد مأجورون عند اللّٰه فيما أخطؤوا فيه من اجتهاد.

وصفوة القول، إن مصطلحي الأدوات والمؤهّلات أكثر ضبطًا وتركيزًا من مصطلح الشروط؛ لأنهما ينصرفان عند الإطلاق إلى تلك العلوم والمعارف خلافًا لمصطلح الشروط التي تنصرف إلى تلك العلوم والمعارف وسواها كالآداب والخصال.

وتأسيسًا على هذا، فإنّنا قد ملنا في هذه الدراسة إلى استخدام مصطلح الأدوات التي تشير إلى تلك العلوم والمعارف التي تجعل المتمكن منها أهلا لممارسة الإفتاء، وتعد هذه العلوم والمعارف كسبيّة لأنّه في الإمكان أن يكسبها الإنسان من خلال تعلمها والتمكن منها، كما أنّها تعد علومًا موضوعيّة؛ لأنّها موضوعة مجتمعة لتأهيل المرء للقيام بمهمة التوقيع عن ربّ العالمين.

المبحث الثاني: في أدوات صناعة الفتوى في القرنين الثاني والثالث

من نافلة القول أنّ عددًا غير يسير من أهل العلم بالحديث والفقه والتفسير عنوا في فترة مبكرة بالتنصيص على جملة حسنةٍ من العلوم والمعارف التي يجب على المرء التمكن منها قبل الإقدام على مهمة التوقيع عن ربّ العالمين في مختلف المسائل والقضايا وخاصّة تلك المسائل الموسومة بالظنيات والمتشابهات وغير المنصوص عليها، وتعرف هذه العلوم والمعارف بأدوات الإفتاء، كما تعرف بشروط الإفتاء، وتعرفها طائفة ثالثة من الباحثين والكتاب بعلوم الإفتاء.

وكما أسلفنا القول، فإنّ مرادنا بأدوات الإفتاء في هذه الدراسة هي مجموع العلوم والمعارف الكسبيّة التي تمكن مكتسبها من ممارسة الإفتاء والقيام بمهمة التوقيع عن ربّ العالمين في ثقة وأمان، وتمكن المرء من هذه العلوم والمعارف يصيره مجتهدًا مرفوعًا عنه المؤاخذة والإثم فيما أخطأ فيه من اجتهادات وفتاوى، وبتعبير آخر، إن تمكن المرء من هذه العلوم والمعارف يجعله ممن يصدق عليه ما ورد في الحديث الذي رواه عمرو بن العاص رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ (إذا حكم الحاكم

فاجتهد، ثم أصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد، ثم أخطأ، فله أجرًا والمراد بأجرين: أجر إصابة الحقِّ، وأجر الاجتهاد، والمراد بأجر واحد أجر الاجتهاد. كما يصدق عليه ما رواه عبد اللّٰه بن عباس رضي اللّٰه عنهما، قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: **(إنَّ اللّٰه تعالى وضع عن أمّتي الخطأ والنسيان وما اسْتُكرِهُوا عليه)** أخرجه ابن ماجه.

وأما إذا مارس المرء الإفتاء قبل تمكنه من هذه العلوم والمعارف، فإنّه يؤاخذ عند اللّٰه يوم القيامة على أخطائه، وذلك بحسبانه ممن اعتدى على حدود الله، وصدق فيه الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاريّ وغيره من أصحاب السنن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي اللّٰه عنه أنّ رسول اللّٰه ﷺ قال: **(إنّ اللّٰه لا ينزع العلم من الناس من صدور الرجال، ولكنّ ينزع العلم بموت العلماء، فإذا لم يُبْقِ عَالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جُهالًا يفتونهم بغير علم، فضلّوا وأضلّوا»**، كما يصدق فيه الحديث الذي أخرجه أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه أنّ رسول اللّٰه ﷺ قال: **«من قال عليّ ما لم أقل، فليتبوأ بيتًا في جهنم، ومن أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم الرشد في غيره، فقد خانه)**.

وإذا الأمر كذلك، فلننصرف إلى تأصيل القول فيما جادت به المدوّنات والمصنفات العلميّة من ضبط وتحليل لتلك العلوم والمعارف الكسبيّة التي تؤهّل المرء لأن يتنزل منزلة الخليفة عن رسول اللّٰه في التوقيع عن ربّ العالمين.

إنّ إمعان النظر الدقيق وإعمال الفكر الناقد الثاقب فيما ضمته مدونات أولئك الأئمة من ضبط لأهمّ المعارف والعلوم التي ينبغي الإشراف عليها لمن يروم التصدّي لهذه المهمة العظيمة، نجد أنّ ثمة تطورًا وتغيرًا كانا يغشيان بين الفينة والأخرى تلك المعارف والعلوم المؤهّلة للإفتاء، وظلّ هنالك توسعٌ مستمرٌ وتجديدٌ متواصلٌ لمحتويات تلك المعارف ومضامينها، كما أمسى من الأمر المألوف والمشهود مواكبة التغيرات والتطورات بالاعتداد بما يستجدّ من معارف وعلوم ناجعة أدواتٍ معرفيّةَ مؤهّلةً للتوقيع عن ربّ العالمين تنضاف تلقائيًّا – إلى دائرة الأدوات العلميّة السابقة، بل إنّ للمرء أن يلحظ في بعض الأعصار استغناء أهل العلم عن الاعتداد ببعض المعارف والعلوم التي كانت تعد في فترة من الفترات من جملة المعارف والعلوم المؤهّلة للإفتاء.

وعلى العموم فإنّه من شبه المتفق عليه أنّ أوليّة صياغة منهجيّة رصينة للتفكير والتعليل والتقصيد تعزى إلى الإمام الهاشميّ محمد بن إدريس الشافعيّ، وذلك بوصف مصنفه الموسوم بالكتاب وبالرسالة أوّل مصنف تضمن صياغة موضوعيّة

رشيدة لمنهجيّة التفكير في الفكر الإسلاميّ، كما أنّ الإمام الشافعيّ يُعرف بين الأئمة بكونه ذلك الإمام المبدع في مجال الابتكارات العلميّة والتفكير المنهجيّ العميق، ومن هنا، فلا عجب أن يؤثر عن إمامنا الهاشمي الشافعي رَهمهُ اللَّهُ أول وثيقة احتضنت بيانًا ضافيًا للعلوم والمعارف التي ينبغي لمن راودته نفسه القيام بمهمة الإفتاء التمكن منها والإشراف عليها ضمانًا لحسن التوقيع عن ربّ العالمين، وهذا نصّ الوثيقة كما رواها عنه الإمام الخطيب البغدادي في كتابه القيّم: **الفقيه والمتفقه**.

«.. لا يحلّ لأحد أن يفتي في دين اللّه إلا رجلًا عارفًا بكتاب اللّه بناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيّه ومدنيه، وما أريد به، ويكون بعد ذلك بصيرًا بحديث رسول اللّه وبالناسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيرًا باللغة، بصيرًا بالشعر وما يحتاج إليه للسنة والقرآن، ويستعمل مع هذا الإنصاف، ويكون بعدُ مشرفًا علىٰ اختلاف أهل الأمصار، وتكون له قريحة بعد هذا، فإذا كان هكذا، فله أن يتكلم، ويفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا، فليس له أن يفتي.. »[1].

إنّ الإمام الشافعيّ أوجز في هذا البيان الرفيع أهمّ المعارف والعلوم الكسبيّة التي تؤهّل المرء للإفتاء والتوقيع عن ربّ العالمين، كما أومأ إلى خصلتين فطريتين يجب توافرهما فيمن يتصدى للإفتاء، وأما المعارف والعلوم الكسبيّة فإنها تتلخص في خمس معارف أساسية، وهي: معرفة كتاب الله، ومعرفة السنة، ومعرفة اللغة، ومعرفة الشعر، ومعرفة اختلاف أهل الأمصار، وأما الخصلتان الفطريتان، فهما: قوة القريحة، وضبط النفس.

وإمعانًا في توضيح المراد بالمعارف الكسبيّة، عن الإمام الشافعيّ بالتنصيص على القدر المطلوب إتقانه من كل واحدةٍ من هذه المعارف،

فالنسبة لمعرفة القرآن الكريم، فإنّ القدر المطلوب معرفته يتمثل في معرفة التاسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والمكي والمدنيّ (- أسباب انزول والورود)، وبالنسبة لمعرفة السنّة، فإنّ القدر المطلوب معرفته منها هي الأخرى، يتمثل في معرفة الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه والمكيّ والمدني من الأحاديث والسنن الشريفة؛ وأما بالنسبة للبصر بالشعر، فإنّ القدر المطلوب إجادته هو ما احتيج إليه منه اعتبارًا بتعذر الإحاطة بجميع الأشعار؛ وبالنسبة لمعرفة الاختلاف، فإنّه يُكتفى فيها بالإشراف والإحاطة بأهمّ أقاويل العلماء في مختلف المسائل التي يجتهد فيها، ويبيّن فيها حكم الشرع للعامة.

ولئن تمحور طرح الإمام الشافعي حول مضامين المعارف، وخاصّة المعرفتين الأوليين (= معرفة الكتاب ومعرفة السنّة)، فإنّ تلميذ الإمام الشافعي الإمام أبا عبد اللّه أحمد بن حنبل رحمه اللّه عني بلفت النظر إلى أنّ معرفة السنّة كما تقتضي معرفة الناسخ والمنسوخ، فإنه لا تمام لتلك المعرفة إذا لم تسبق بمعرفة أصيلة متمثّلة في معرفة الأسانيد المعينة على التمييز بين صحيح السنة وسقيمها، وهذا نصّ ما قاله الإمام أبو عبد اللّه رحمه اللّه كما روى عنه ابنه صالح: (.. قال الإمام أحمد في رواية ابنه صالح عنه: ينبغي للرجل إذا حمل نفسه على الفتيا أن يكون عالمًا بوجوه القرآن، عالمًا بالأسانيد الصحيحة، عالمًا بالسنن، وإنما جاء خلاف من خالف لقلة معرفتهم بما جاء عن النبي ﷺ وقلة معرفتهم بصحيحها من سقيمها.. وقال في رواية..: ينبغي لمن أفتى أن يكون عالمًا بقول من تقدم، وإلا، فلا يفتي (1).

أَجَلْ، إنّ التأمل في هذه المعارف الخمس ومضامينها كما انتهى إليها الإمام الشافعي، وتبعه تلميذه إمام أهل الحديث الإمام أحمد ابن حنبل رَحِمَهُمَا للَّهُ، نجد أنّها خلت من التنصيص على معرفة أصول الفقه، ومعرفة الجرح والتعديل، كما أنّه تجاوز التنصيص الصريح على ضرورة معرفة المقاصد، ومعرفة القواعد الفقهيّة وسواها من المعارف التي أمست بعد معارف ضروريّة وهامّة لمن يتصدّى للإفتاء؛ ومردّ هذا إلى تأخير نشأة هذه المعارف وتدوينها، ففي عصر الإمام الشافعي لم يكن علم الأصول قد استوى على سوقه، بل يعدّ الإمام الشافعي نفسه الإمام المؤسّس والمبتكر لعلم الأصول في كتابه الموسوم بالرسالة، كما أنّ علم الجرح والتعديل هو الآخر لم يكن قد استقرئت قواعده وضبطت مباحثه، وأسسه.

وأما بالنسبة للقواعد الفقهيّة، أو معرفة المقاصد، فإنّها كلها لما تكن قد أسّست أو دوّنت بصورة واضحة، مما جعل الإمام الشافعي يكتفي بالإشارة إلى المضامين لا إلى المعارف والعلوم التي لم تكن بعدُ قد نشأت أو دوّنت في عصره.

وصفوة القول، يمثّل هذا الطرح الشفعوي نموذجًا معبّرًا عن أهمّ المعارف والعلوم التي كان يجب علىٰ المرء إجادتها والإشراف عليها في ذلك العصر قبل أن يحدّث نفسه بالقيام بمهمة الإفتاء في الدين، وجليّ في هذا الطرح، تجاوزه التنصيص على العديد من العلوم والمعارف التي دوِّنت من بعده، كعلم الأصول، وعلم الجرح والتعديل، وعلم المقاصد، وغير ذلك، ويعدّ هذا تقريرًا واضحًا على أنّ الأدوات المؤهّلة للإفتاء كانت دومًا وأبدًا انعكاسًا واضحًا لمهمات المعارف والعلوم الحاضرة المعينة على حسن تفهم الوحي الإلهيّ الثابت

نعم... الشيخ محمد الطاهر بن عاشور يقرض الشعر

بقلم الأستاذ: محمد الصادق عبد اللطيف

لقد أحسن الصديق سوف عبد في كلمته عن الشيخ بن عاشور بالصباح(الثلاثاء 97/ 06/ 10) وقد عرّج في مقالته عن تأليف الشيخ وتحقيقاته الأدبية والعلمية، ومكانته في سمو الذوق والتذوق ورقة الإحساس مع تمكن تام في مجالي علم البلاغة والتحقيقات، ولكن جانبا آخر لم ينل حظه في حياة شيخنا وهو (قرضه للشعر) إنه جانب قد يكون غير معهود لدى الغير من الباحثين والدارسين والقراء.

بادئ ذي بدء يتوجب الشكر تقديم التشكرات لوزارة الشؤون الدينية التي أقامت وتقوم مشكورة بتوثيق الندوات العلمية وآخرها ندوة عن الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور قدس الله روحه عدد 1996/ 9 ونشرها في كتاب ولكن يؤسفنا أن تكون تلك المنشورات لا تباع ولا تعرض في المكتبات العامة للمطالعة بل هي موجهة لفئة خاصة (الأيمة الخطباء).

في كلمة الدكتور علي الشابي من هذا الكتاب نقف أمام حقائق جديدة وعلى جوانب مهمة مجهولة من حياة وإنتاج شيخنا ألا وهو (الجانب الشعري والذي لشيخنا فيه تجربة مبكرة إلى جانب تحقيقاته الأدبية وتجديده المتواصل للفكر الديني تحريرا واجتهادا ثم العمل من أجل الإصلاح والتطوير).

إن قرض الشعر من طرف الشيخ العميد لم يكن جانبا معروفا بالكيفية العلمية أو الأدبية في حياته، وعطاؤه فيهما يعزز معارفه العامة وكلفه بالشعر والاستشهاد به في تخريجاته العلمية الصائبة يجعل له حسّا أدبيا مرهفا.

المصدر: مخطوط واحة الفكر

مع تمكن من أسرار اللغة وقواعد البلاغة وأساليب البيان، والعارفون بالشيخ يدركون حقيقة اتساع معارفه وشموليتها، وفي هذا المجال – مجال قرض الشعر – يقول الدكتور علي الشابي (كان له استلهام معتبر في مجال القرض حسب المناسبات ومقتضيات الظروف نستعرض منه أمثلة دالة على اهتمامه العظيم بموضوع الشعر وتجربته المبكرة فيه) بالرجوع للمصادر الموثقة والتي نقل عنها الدكتور الشابي أدلته الشعرية نجد بكتاب (آثار الشيخ محمد النخلي)نصوصا شعرية ترجع لتاريخ 1889/ 5/ 29 وهي من نوع المساجلات الشعرية التي تكثر في المجال الإخواني حيث يقول في شيخه العلامة محمد النخلي بعد انتهاء دراسة كتاب (السعد) في البلاغة :

السعد أسفر بالبشائر يعرب وأراك في لجج الهوى تتقلب
فاسمع نداه فلات حين تغزل في الكاعبات ولات حين تطرب
حتى متى شوق بعقلك يذهب فتتك سعدى والرباب وزينب
ليس (النسيب مقدم)مستلحما إن كان خوضك في الفضائل أعذب

والقصيد به ثلاثة وأربعون بيتا يوجد نصه بكتاب آثار الشيخ محمد النخلي (جمع وتقديم عبد المنعم النخلي) [1]

لما قرأ الشيخ النخلي علق بخط يده منوها بتلميذه النجيب الأديب.

يؤمل في هذا الهلال بان يرى كبدر تمام لا يخالطه نقص
ويرجى لهذا البارع النابغ انه يسمى علا الأسلاف والشاهد النص

لما قرأ الشيخ بن عاشور تعليق أستاذه العالم تحركت قريحته الفياضة قال :

على شكل هذا الساس تبنى المعالم وفي مثل هذا الشأن تعلى الدعائم
فسرح جواد الغوص في لفظ دره هو البحر ينبي كيف تقنى المكارم
وما ضره والله ذاك وانه لمن فيض بحر ما لموجه هاضم

(1) نشر دار الغرب الإسلامي 1995 وبصفحة 14 من كتاب عن الشيخ بن عاشور مصدر سابق

اما انه (النخلي) تطال شأنه هو القصد إذ تسعى إليه العوالم
ولا أسأل الرحمان إلا دوامه لعلياه فهو الطود للعلم دائم
وإني جدير إذ أتيت بمدحتي بجوز قصاري الفخر للشك حاسم

إن علاقته بصديق عمره ورفيق دربه الشيخ محمد الخضر حسين خلفت فراغا روحيا لما هاجر لدمشق بعث له العميد رسالة مصدرة بقصيد طالعه :

بعدت ونفسي في لقائك تصيد فلم يغن عنها في الجنان قصيد
وخلفت ما بين الجوانح غصة لها بين أحشاء الضلوع وقود
وأضحت أماني القرب منك ضئيلة ومر الليالي ضعفها سيزيد
أتذكر إذ ودعتنا صبح ليلة يموج بها انس بنا وبرود

والقصيد له تسعة أبيات جاء في كتاب خواطر الحياة للعلامة محمد الخضر حسين[1] . وفي جانب آخر، جانب المدح نلحظ نفس العميد وهو يتحدث عن ملك البلاد محمد الهادي باي بعد زيارته لفرنسا وعودته منها 1904

مليك الهدى لولا ضيق باعي لما أظهرت نحوكم انقطاعي
فإن الشعر معيار ونقد لأرباب البلاغة واليراع
فأمّا الصدر منه فليس سهلا وأما السقط فهو من الرعاع
وعم المسلمين بك ابتهاج لما ظهرت في تلك البقاع
نعم أقررت عين الدين تقوى من كان غيرك في ابتداع
وحسي في مديحي مع هنائي قصور القول في الحمد مشاع

تلك هي صورة شيخنا من خلال ما قاله (شعرا) تنضاف إلى جوانب حياته الإبداعية المتعددة، وعسى أن تكون هذه (اللمحة) إثارة للبحث في الصحف القديمة وفي مخلفات الشيخ ما يزيد الإشراقة الأدبية لشيخنا العميد.

من مصادرنا بهذه المعلومات : كتاب آفاق إسلامية (9) عن الشيخ.

محمد الطاهر بن عاشور نشر وزارة الشؤون الدينية تونس 1996

(1) المصدر السابق وقد أشار إلى أن القصيد منشور بالرز نامة التونسية ص 1904 وبصفحة 14 من الكتاب : مصدر سابق.

رسالة من رسائل في التصوف لسليل الخطباء وكبار الشيوخ والأولياء

محمّد ابن عبّاد الرندي النفزي ثمّ الفاسي (733ـ792)

[الرسالة السادسة من الرسائل الصغرى]

بعناية: الأستاذ عبد الهادي النجّار الشاذلي
والأستاذ آرش أبوترابي همداني

جواب سؤال التاسع في ذكر أحوال شريفة ينبغي أن يكون عليها المريد

وآكد ما على المريد، أنْ يكون له حال مِن الأدب الظاهر والباطن فيمَا يتقلّب فيه مِن الأحوال، ويتصرّف به مِن الأعمال، مِن غِناهِ وفقرِهِ وعافيتِهِ وضرِّهِ، وطاعتِهِ وعصيانِهِ وذكرِهِ ونسيانِهِ - ونعني بالذكر: شهودُ القلبِ وحضورِهِ؛ وبالنسيان: غيبتِهِ واستتارِهِ؛ فذلك مِمَّا يجب مراعاته في السلوك والوصول، لأنّه مِن أقوى العمد والأصول، وفي ذلك مِن خلوص التوحيد ومحاسن أوصاف العبيد، ما يندفع بهمَا عن باطنه أنواع مِن الكروب والأمال، ويتخلّص بهمَا مِن تبعات الذنوب، ومتاعب الأعمال؛ أمّا الغنى والعافية والطاعة والذكر - وفي معناها[1] رفعة القدر والجاه - فأدبها[2] الباطن معرفته بجلال ربّه وعظمته وكبريائه وقدرته، ويكفي في ذلك معرفة قوله تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ [الأنعام:91] - ومعرفته بخسّة نفسه وضعتها ومهانتها وآفتها، ويكفي في ذلك معرفة قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا**﴾ [الإنسان:1] - فإذا أحكم هاتين المعرفتين علم على القطع حينئذٍ أنّه لا وجه لاستحقاقه شيئًا مِن ذلك، وإنْ قلّ، لولا فضل الله وكرمه، وأنّه لو صبّ عليه أنواع البلايا، وامتحنه بأشدّ الرزايا، وأوقعه

(1) الإسكوريال: معناهما.
(2) الإسكوريال: فأدبهما.

في سببٍ يضلّ به في دينه ويـهلك به في[1] دنياه، لكان أهلًا له ومستحَقًّا. وقد فعل ذلك بأُمَـمٍ لا تحصى - فينبغي أنْ يستغرقه الفرح بربّه والشكر له، **ويشتغل بذلك عن التطلّعِ إلى ما هو أعلى، والكون على حال يتوهّـمه أولى**. وأدبـها[2] الظاهر: أمّا الغنى والعافية وما في معناهمـا، فالاستعانة بـهمَا على طاعة الله - عزّ وجلّ - وأنْ لا يستعين بـهمَا على معصيته[3]؛ وأمّا الطاعة فإخلاصها وتـحسينـها وإتّـهام النفس في الوفاء بـحقوقـها ورجاء قبولها؛[85] وأمّا الذكر فأنْ لا يـجرِهِ البسطُ إلى سوءِ الأدبِ، ولا يـمنعه القـبضُ مِن العملِ بِمَا يـجب أو يستحبّ. ويراعي في ذلك آداب الحضرة ولا يـخلّ منـها بـمثـقال ذرّة.

وأمّا الفقر والضرّ - وفي معناهمـا الضعة والخـمول - فأدبـهمـا الباطن؛ معرفتُهُ بأنّ الحقّ تعالى سلكَ به سبيلَ أحبّائه مِن أنبيائه وأوليائه، ورآه أهلاً لتقريبه واصطفائه، وعلّمه بأنّ في الإمكان ما هو أعظم مِمّا به ابتلاه في دينه ودنياه - فينبغي أنْ يستغرقَهُ الفرحُ بـمولاه لا يثاره إيّاه بِمَا به إبلاه وأولاه والشكر لـه على إصابته منه بـهذا القدر اليسير لطفاً منه به ونظراً لـه يشغلُـهُ ذلك عن مكابدة البلوى والاْستراحة إلى البثّ والشكوى.

فقد حُكِـيَ أنّه كان لبعض الأولياء صديقٌ، فـحبسَهُ السلطان فأرسلَ إليه، فقال لـهُ صاحبُهُ: «اشكرِ اللهَ»، فضُرِبَ الرجلُ؛ فكتب إليه فقال: «اشكرِ اللهَ»، فـجيءَ بِـمحبوسٍ مـجوسيٍّ مبطونٍ، وقُـيِّدَ فـجُعِلَتْ حَلْـقَةٌ مِن قَيْدِهِ على رِجْلِ هذا، وحَلْـقَةٌ على رِجْلِ الـمجوسيِّ، فكان يقومُ الـمجوسيِّ بالليلِ مرّاتٍ، وهذا يحتاج أنْ يقومَ معه ويقـفَ على رأسِهِ حتّى يفرغَ؛ فكـتب إلى صاحبِهِ، فقال: «اشكرِ اللهَ تعالى» فقال: «إلى متى تقول؟ وأيُّ بلاءٍ فوقَ هذا؟» فقال لـه صاحبُهُ: «لو وُضِعَ الزُّنَّـارُ الذي في وسطِهِ في وسطِكَ كَـمَا وُضِعَ القيدُ الذي في رِجْلِـهِ في رِجلِك؛ ماذا كنت تصنع؟»[4]

وقال رجلٌ لسهل بن عبد الله[5]: «إنّ الـلصَّ دخل داري وأخذَ متاعي!» فقال لـه: «اشكرِ اللهَ؛ ولو دخلَ اللصُّ قلبَكَ - وهو الشيطانُ - وأفسد التوحيدَ، ماذا كنت تصنع؟»[6] ومرّ بعض الـمشائخ في شارع فصبّ على رأسِهِ طستَ رمادٍ، فسجد لله

(1) الإسكوريال: - في.
(2) الإسكوريال: وأدبـهما.
(3) الإسكوريال: معصية.
(4) الرسالة القشيرية، باب الشكر، ص 427.
(5) هو أبو محمد سهل بن عبد الله التستريّ: أحد أئـمة القوم، ومن لـم يكن لـه في وقته نظيرٌ في الـمعاملات والورع، وكان صاحب كرامات. لقي ذا النون الـمصريّ بـمكّةَ سنةَ خروجِهِ إلى الحجّ. توفِّـيَ - رحمه الله - كـمَا قيل - سنةَ ثلاثٍ وثـمَانين ومئتين، وقيل: ثلاث وسبعين.
(6) الرسالة القشيرية، باب الشكر، ص 427-428.

تعالى شكراً. فقيل لـه في ذلك، فقال: «كنتُ انتظر أنْ يصبّ عليّ النارَ، فالاقتصار على الرماد نعمة.»[1]

وأدبـها الظاهر؛ حسن الصبر، وسؤال كشف الضرّ، واستعمـال ظاهر السّنّة في التسبّب والتطبّب، والفرار مِن الـموذّي والـمهلك. وأنْ ترقى في المعرفة حتّى الدعاء والسؤال في بعض حالاته فحسن. فقد قيل: «ألسنةُ الـمبتدئين منطلقةٌ بالدعاء؛ وألسنةُ الـمتحقّقين خرست عن ذلك.»[2] وسُئِلَ الواسطي[3] أنْ يدعوَ فقال: «أخشى إنْ دعوتُ، أنْ يُـقال لي: «**إنْ سألـتَنا ما لك عندنا، فقد اتـهمتَنا، وإنْ سألتَنا ما ليسَ لكَ عندَنا، فقد أسأتَ الثناءَ علينا، وإنْ رَضِيتَ أجرَينا لكَ مِن الأمورِ ما قضَينا لكَ في الدهور.**»[4]

وروي عن عبد الله بن منازل[5] أنّه قال: «**ما دعوتُ منذُ خمسين سنةً، ولا أُريدُ أنْ يدعوَ لي أحدٌ.**»[6] – يعني بذلك الدعاء الـمقصود به قضاء حاجته في خاصّته – لا مطلقاً – إذ الدعاء على قصد إظهار العبوديّة وموافقة الأمر، والدعاء للغير على وجه مندوب إليه في الشرع مطلوبٌ مِن الخاصّة والعامّة، لا يضاد شيئاً مِن مقاماتـهم العالية، بل يجدون الـمزيد بذلك فيـها؛ إلّا ان يـكون مستغرقاً في حالٍ مِن الأحوال، فلا كلام في مثل هذا. وإنْ غلب عليه اليقين حتّى ترك التسبّب والتطبّب فـحسن أيضا، قد فعله جماعة مِن الأئمة. وقد قيل: «دخلَ جمـاعةٌ على الجنيد فقالوا: «**نطلب الرزق؟**» فقال: «إنْ علمتُـمْ في أيّ موضعٍ هو فاطلبوه»؛ قالوا: «فنسأل الله ذلك؟»؛ فقال: «**إنْ علمتُـمْ أنّه ينسـاكُـم فذكِّروه**»؛ فقالوا: «فندخلُ البيتَ فنتوكَّلُ على الله؟» فقال: «**التجربةُ شكٌ**»؛ قالوا: «**فـمَا الحيلةُ؟**» قال: «تركُ الحيلةِ».[7] وقال أبو حمزة[8]: «**إنّي لأستحيي مِن الله أنْ أدخلَ الباديةَ وأنا شبعانُ وقدِ اعتقدتُ التوكُّـلَ لئلّا يـكون**

(1) للراوي المجهول.

(2) الرسالة القشيرية، باب الدعاء، ص 567.

(3) هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطيّ: خراسانيّ الأصل، من فرغانةَ، صحبَ الجنيد والنوريّ. عالـمٌ كبيرٌ، أقام بـمروَ، ومات بـها بعد العشرين وثلاث مئة.

(4) الرسالة القشيرية، باب الدعاء، ص 567.

(5) هو أبو محمد عبد الله بن منازل: شيخ الملامتيّة، وأوحدُ وقتِهِ. صحب حَـمْدوناً القصّار، وكان عالماً، كتب الحديث الكثير. مات – رحمه الله – بنيسابور سنة تسع وعشرين – أو ثلاثين – وثلاث مئة.

(6) الرسالة القشيرية، باب الدعاء، ص 567.

(7) الرسالة القشيرية، باب التوكّل، ص 418.

(8) هو أبو حمزة الخراسانيّ، نيسابوريّ، من محلّة ملقاباذ. من أقران الجنيد والخرّاز وأبي تراب النخشبيّ، وكان ورِعاً ديّناً. توفي سنة تسعين ومئتين – رحمه الله.

سعيي على الشبع زاداً أتزوّدُهُ.»[1] وقيل لـحبيبِ العجميِّ:[2] «**لَـمَ تركـتَ التجارةَ؟**» فقال: «وجدتُ الكَـفيلَ ثقـةً».[3] وقيل لأبي بـكر الصديق في مرضه: «لو دعونا لك طبيباً»؛ فقال: «الطبيب قد نظر إليّ وقال إنّي فعّال لِمَا أريد.»[4] وقيل لأبي الدرداء: «ألَا ندعو لك طبيباً؟» فقال: «الطبيب أمرضني.»[5] وقيل لسهل: «متى يصحّ للعبد التوكّل؟» قال: «إذا دخل عليه الضرّ في جسمه، والنقص في ماله، فلـم يلتفت إليه شغلاً بحاله وينظر إلى قيام الله تعالى عليه.»[6]

وأمّا العصيان والنسيان، فأدبـهمَا الباطن علمه بأنّـهمَا بقضاءٍ مِن الله وقدرٍ، ومعرفته بوجه اللطف في تـخلية العبد، والعصيان وتسليطه عليه دواعي الغفلة والنسيان. [87] وذلك أنّـه أراد أنْ تعرفَ صفاته العليّة، وتشهد نعوته القدسيّة كالعزّة والعدل في سلب العصمة منـها والأخذ بـها والـمنّة والفضل في العفو عنـها وقبول التوبة منـها. ثـمّ في ذلك مِن وجود الرهب، ونفي العجبِ حسبَمَا ورد في الخبر: «لو لـم تذنبوا لذهب الله بـكم.»[7] وفي الخبر أيضاً: «لو لـم تذنبوا لـخشيتُ عليكم ما هو أشدّ مِن ذلك – العجب العجب.»[8] وقال إبراهيم بن أدهم[9]: «طفتُ ذات ليلة بالبيت الحرام، وكانت ليلة مـمطرة شديدة الظلمة، وقد خلا الطواف وطابت نفسي. فوقفتُ عند الـملتزم وقلتُ: اللّهم اعصمني حتّى ألّا أعصيك، فهُتِـفَ بي

(1) الرسالة القشيرية، باب التوكّل، ص 415.
(2) هوحبيب العجميّ ثم البصريّ الزاهد، أبو محمد.
(3) الرسالة القشيرية، باب التوكّل، ص 420.
(4) مأخذ قول أبي بكر في موته: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، كتاب التوحيد والتوكل، بيان أنّ ترك التداوي قد يحمد في بعض الأحوال، (جدّة: دار المنـهاج للنشر والتوزيع، 2011)، 8، 335.
(5) مأخذ قول أبي درداء: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، كتاب التوحيد والتوكل، بيان أنّ ترك التداوي قد يحمد في بعض الأحوال، (جدّة: دار المنـهاج للنشر والتوزيع، 2011)، 8، 335.
(6) مأخذ قول سهل: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، كتاب التوحيد والتوكل، بيان أنّ ترك التداوي قد يحمد في بعض الأحوال، (جدّة: دار المنـهاج للنشر والتوزيع، 2011)، 8، 335. انظر كذلك قوت القلوب، 2، 23.
(7) رواه مسلم.
(8) رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (6868).
(9) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد العجليّ: مِن كُورة بَلْخَ، كان من أبناء الملوك، فـخرج يوماً متصيِّداً، فأثـارَ ثعلباً أو أرنـباً وهو في طلبه، فهتـفَ به هاتـفٌ: «ألهذا خُلِـقْتَ، أم بـهاذا أُمِرْتَ؟» ثم هتفَ به مِن قَرَبوُسِ سَرْجِهِ: «واللهِ؛ ما لهذا خُلِـقْتَ، ولا بـهذا أُمِرْتَ». فنزلَ عن دابّـته، وصادفَ راعياً لأبيه، فأخذ جُبَّةَ الراعي مِن صوفٍ فلبسـها وأعطاه فرسَهُ وما معه. ثمّ إنّه دخلّ البادية، ثمّ دخل مكّة، وصحبَ بـها سفيانَ الثوريِّ والفضيل بن عياض، ودخل الشام ومات بـها.

هاتفٌ فقال: «يا أبا إبراهيم أنتَ تسألُني أعصمك، وكلّ عبادي يسألوني العصمةَ؛ وإذا عصمتُهم فعلى مَن أتفضّل ولِمَن أغفِرُ؟»».[1]

فيجد بهذه الأحوال مِن المزيد ما لا يجده بالطاعة والذكر. وهو المعني بقول مَن قال: «ربّ ذنبٍ أدخل صاحبه الجنة.»[2] فيستغرقه حينئذٍ شهودُ اللُّطفِ في العُنْفِ ويشغله ذلك عن تكدير الوقت بالحزن على فوات الحظّ الأبدي والنعيم السرمدي. وقد قال بعض العارفين: «العاقل عن الله تعالى مَن عرف شدائدَ الزمان في الألطاف الجارية مِن الله عليه، عرف أساءة نفسه في إحسان الله إليه؛ ﴿**فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الأعراف: 69]».[3] وهذه الآداب الباطنية، والمعارف الروحانية لا تصحّ ويجد المزيد عنها إلّا مَن كان له قلبٌ حيٌّ بالايمان واليقين؛ وعلامةُ ذلك ألّا يقع منه خللٌ بالآداب الظاهرة والمعاملات البدنية التي سنذكرها، ولا يقع منه فتورٌ فيها بسبب ذلك؛ بل يشتدّ حرصُهُ عليها ويعظم فرحُهُ بِمَا حصل له منها. فمثل هذا الشخص يصحّ في حقّه ذلك ويجد المزيد بتذكار تلك اللطائف والمعارف. وأمّا غيرُهُ فيجب عليه ألّا يخطرها بخاطره، ولا يتصرّف فيها بفكره. فانّها تضرّه ضرراً عظيمًا. وليقتصر على الآداب الظاهرة وهي المبادرة إلى التوبة، وحلّ عقد الاصرار، وتذكار الخوف والندم والبكاء، والفزع إلى الرغبة، والدعاء وحسن التيقّظ في لزوم الذكر وإحضار السرّ.

ومِن الآداب الظاهرة في جميع هذه الأحوال اللازمة للمريد إفراد كلّ حالة بذكر مخصوص يناسبها ومناجاة تليق بها، لكونه يبعث الحضور والمراقبة، ويجعل ذلك هجيراه ومعتاده. فإذا لازم العبد هذه الوظائف، وتحقّق بهذه المعاني والمعارف، فقد قام بواجب مقام الشكر واستحقّ بذلك الزيادة الموعود بها في محكم الذكر[4] – ولا زيادة أعلى مِن التحقيق في هذه الأحوال والترقي فيها – وحصل على اغتنام وقته النفيس وزوال حظّه الخسيس ووصل إلى مقصوده على طريق مختصر وقام بحقّ معبوده في كلّ ورد وصدر. فهنياً لهذا العبد ما اختصّ به مِن خصوص المزايا وخلع عليه مِن خلع العطايا.

---

(1) الرسالة القشيرية، باب الرجاء، ص 364؛ وكذا في قوت القلوب، ج1، ص220.

(2) ورد في شرح الحكم العطائية لابن عبّاد تحت الحكمة: «ربّما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول، وقضى عليك بالذنت وكان سبباً للوصول». ... «إنَّ العبد ليُذنِبُ الذنبَ، فيدخُلُ به الجنة»، قيل: كيف؟ قال: يكون نُصْبَ عينيه ثابتاً قارّاً حتى يدخل به الجنة.» رواه الحسن البصري، وأورده أحمد في الزهد.

(3) نسب هذا القول إلى الإمام الشاذلي في لطائف المنن، طبعة عبد الحليم محمود، ص 168؛ إلاّ فيه «عرف» في مكان «غرق» الشدائد.

(4) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾ [إبراهيم:7].

مفاهيم إسلامية

أخلد الأعمال وأبقاها أخلصها إلى الله

بقلم : الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

إن أفضل الأعمال وأخلدها وأجزلها ثوابا من لدن الله سبحانه وتعالى في عاجل الحياة وآجلها تلك الأعمال التي يقدمها الإنسان لوجه ربه خالصة لا يقصد من ورائها إرضاء مخلوق أو التحصيل على نفع من عنده اللهم إلا إذا كان ذلك النفع أو الرضى من قبيل الحاصل غير المقصود فان كل نفس بشرية ترحب بهما وتهش إليهما مهما كان استعلاؤها وكيفما كان استغناؤها، ولو علم الناس هذه الحقيقة الأزلية لسلموا من كثير من الآهات والتوجعات ولأتيحت لهم فرص كثيرة لتحقيق غاياتهم القريبة والبعيدة والصغيرة والكبيرة والخاصة والعامة ولعلموا علم اليقين الحاصل من التجربة والحس أن صغير الأعمال إذا تمحض لوجه الله لابد أن يحقق من النتائج ما لا تحققه الأعمال الكبيرة العظيمة التي لم تتمحض لوجهه سبحانه وتعالى.

وغير المجرب وغير المتأمل الحصيف يرى أن في هذا الكلام ضربا من الخيال والمبالغة في حين انه خال تماما من كل تزيد أو تزويق فمن شاء منا أن يستعرض شريط حياته وينظر في جميع المواقف التي اتخذها وأعماله التي قام بها بهذا الاستعراض وبهذه المحاسبة ويصدقنا بعد ذلك في استخلاص النتيجة التي تحصل عليها وإننا لموقنون سلفا بأن النتيجة لن تكون أبدا غير ما ذكرنا آنفا لان جميع الأدلة الواقعية والمنطقية والشرعية تظافرت منذ الأزل على دعم هذا الواقع الذي لا محيص منه.

وكثيرا ما يبقي الإنسان يخبط خبط عشواء ينشد السعادة ممن هو في حاجة إلى السعادة والعون ممن هو في حاجة إلى العون وينسى ربه القوي الرحيم ويغفل تماما عما أودع فيه هذا الرب العظيم من طاقات وإمكانيات تحقق الأعاجيب وتقضي على المستحيل متظافرة مع غيرها تارة ومستقلة بالتصرف تارة أخرى وهيهات أن يقطع شوطا في سبيل غاياته ومطامحه مادام يعيش في هذه الدوامة من البلبلة والحيرة والذهول اللهم إلا إذا فتحت بصيرته على حقيقة نفسه وعلى عظمة ربه فاخلص له النية واعتمد عليه اعتمادا كليا يجعله ذلك الاعتماد وذلك الإخلاص مؤمنا اشد الإيمان بان الله سيقيض له من القوى المنظورة

وغير المنظورة المغيبة والحسيه ما يشد أزره ويقوي ساعده ويعينه على تخطي العراقيل والتغلب على المصاعب. أما ذلك الذي طمست بصيرته وضرب على قلبه بالأسداد فبقي مدى الحياة جاهلا لنفسه شاكا في قدرة ربه متكلا على الضعفاء والمحتاجين فانه بدون شك سوف يبقي ما كتب له البقاء في هذه الحياة مذبذبا تائها متوزع الأهواء والعواطف ضائع الفكر ذائب الشخصية وانه لا يمكن لمن كانت هذه صفاته أن يحقق مطمحا لنفسه وغاية لقومه وهدفا لأمته.

فما أعظمها نعمة الإيمان بالله وبالنفس وكم تحمل هذه النعمة بين طياتها من مفاخر لأصحابها وللإنسانية؟ وكم تقدم من خدمات لمشاريع الأفراد والأمم ولمبادئها وغاياتها؟

إن الأعمال التي يقوم بها الناس في جميع ميادين الحياة كثيرة لا تدخل تحت حصر وهي على كثرتها وتنوعها تختلف في مدى قابلية التشريك والتمحض المخلص، وان أقربها إلى التمحض والإخلاص ما كانت آثاره أخفى ومنافعه ابعد. ومن هذا القبيل تكريس الجهود العقلية لخدمة مجتمع عن طريق الابتكار والإنشاء والتأليف، لان رجال الفكر هم الذين يمسكون بالخيوط الرقيقة التي تتصل بالمثل والفضائل والأمجاد والحقائق العلمية المجردة وان عملهم المضني وعزلتهم الخانقة الممتعة وترفعهم عن سفاسف الأمور وصغائرها تجعلهم يتخلصون من كثير من المركبات ويتمحضون لما قطعوا أنفسهم له من خلق وابتكار ومن تمحيص وادخار فلا غرو أن يكون هذا العمل من اقرب الأعمال إلى الصفاء والإخلاص والتوجه المطلق لمن يتولى مجازاة العاملين في هذه الحياة الفانية إن شاء وفي الآخرة إن أراد وفيهما معا إذا تفضل وهو أهل التفضل.

وان الذي حضر ورأى أو سمع ووعى ما وقع من تكريم لإمامين جليلين (**سماحة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور والأستاذ حسن حسني عبد الوهاب**) رحمهما الله والذين لهما على تونس العربية المسلمة وعلى الأمة العربية والإسلامية قاطبة ألف يد ويد سوف يسجلها لهما التاريخ بمداد الفخار والإكبار وسوف يجازيهما المولى عنها بما هو أهله من كرم وتجاوز. يخرج حاملا لمعاني كثيرة توقفه حتما أمام ما كنا نقول فلقد شارك العلمان في ميادين كثيرة غير العلم والتأليف ولقد كان جلها يرى عند أولي النظر القصير اجل شانا في الحياة وأعظم شيء في سماء الخلود فمن إدارة إلى سياسة إلى حظوة إلى جاه عريض كلها أمور يخيل لكثير من الناس أنها قمة المجد وأنها نهاية الصعود لكننا رأيناها تتقلص كلها وتولي هاربة لتفسح المجال لشيء واحد هو الفكر والتنقيب والبحث والإنتاج ليمسك وحده بيد الشيخين العجوزين ويصعد بهما بتؤدة ورقي إلى سماء الخلود، أفلا يكون هذا المشهد المعبر خير حافز إلى إدراك الحقائق السرمدية التي لن تتغير ولن تتبدل هذه الحقائق التي تؤكد مجتمعة ومتفرقة **أن ما أراد به الإنسان وجه ربه يغلب كل ما أراد به شخصه أو ما أراد به غير وجه الله.**

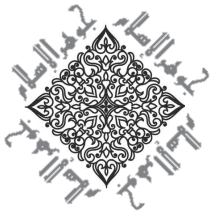

ماهي القضية الكبرى للإنسان اليوم ؟

بقلم المفكر الهندي وحيد الدين خان

لو طُرح هذا السؤال في جلسة لكانت إجابات الناس مختلفة وردودهم شتى فمنهم من يقول إن القضية الكبرى هي فرض الحضر على اختبار الأسلحة النووية، ومنهم من يقول إن ازدياد سكان العالم هو القضية الكبرى، وآخرون يقولون إن الإنتاج وتوزيع الثروات هو أهمّ وأعظم القضايا. وخلاصة القول أنك تسمع ردوداً وإجابات متنوعة تُظهر بوضوح أن الناس عامةً لا يدركون حقيقة أنفسهم حتى الآن، إذ لو عرف الإنسان نفسه لكانت ردود النّاس واحدة، ولقال الجميع **بأن قضية الإنسان الكبرى اليوم هي أنه قد نسى حقيقة نفسه**، وانه غافل عن حقيقة مُهمة وهي أنه سيموت يوماً ويذهب بعد الموت إلى مالكه ليحاسب على أعماله، ولو فهمنا حقيقة الحياة لقلنا يقيناً إن الآخرة هي قضيتنا الأصلية والأساسية وليست الدنيا.

إن أغلبية سكان العالم اليوم يؤمنون بالله وبالآخرة، ولا يصح أن نقول إنهم منكرون لهما ولكن يمكن أن نقول إنه لا علاقة لهذا الإيمان بعملهم، فكل إنسان في هذه الحياة يعمل ليلاً ونهاراً من أجل إنجاح دنياه الحاضرة.

لو أعلنت مراكز الإرصاد يوماً ما أن الأرض قد فقدت جاذبيتها، وأنها بدأت تقترب إلى الشمس بسرعة ستة آلاف ميل في الساعة لحدثت ضجة في العالم أجمع لأنّ مثل هذا النبإ يعني انعدام الحياة بجميع صورها على وجه الأرض في بضعة أسابيع، ولكن هناك خطراً أشدَ منه يواجه العالم كل لحظة ولا أحد يحس بضرورة الفزع منه، ما هو هذا الخطر يا ترى؟ إنه خطر يوم القيامة الذي قدّر لهذا العالم يوم خُلقت الأرض والسماء، ونحن جميعاً نتجه نحو هذا القدر بسرعة رهيبة.

إن الناس جميعاً يعترفون بذلك على مستوى العقيدة ولكن قليلون هم أولئك الذين يحسّون بضرورة التفكير فيه.

لو وقفنا في أحد الأسواق العامة ذات مساء وراقبنا حركة الناس ومساعيهم ثم فكرنا في ذلك قليلاً لعرفنا ما الشيء الذي جعله إنسان اليوم قضيته الكبرى تأملوا قليلاً: لماذا يتكرر ذهاب السيارات وإيابها في الأماكن المزدحمة؟ ولماذا يزين أصحاب المتاجر متاجرهم؟ وإلى أين تذهب جماعات الناس ومن أين تأتي يا ترى؟ ما هو موضوع الناس؟ ماذا يريد الناس ؟ ولأي غرض تتم لقاءاتهم ؟ وفي أي شيء ينفقون أموالهم ؟ ولأي شيء تنصرف مواهبهم وكفاءاتهم العالية ؟ بأيّ شيء يبتهج المبتهجون ؟ والوجوه الكئيبة لماذا تبدو كئيبة ؟ ماذا يحمل الناس معهم حين يخرجون من بيوتهم ؟ وماذا سيحملون معهم عند عودتهم ؟

لو أدركنا إجابة هذه الأسئلة ونحن نتأمل حركة الناس وهم منهمكون في أعمالهم ونسمع أصواتهم التي تخرج من أفواههم ونرقب أفعالهم لعرفنا كذلك جواب ذلك السؤال، أعني أيّ شيء يعتبره إنسان اليوم قضيته الكبرى وما الذي يريد تحقيقه ؟ الحقيقة أن حركة الأسواق ورونقها وحركة الناس المستمرة من ذهاب وإياب عبر الشوارع المزدحمة تعلن أن إنسان اليوم يجرى وراء رغباته وشهواته، ويريد أن يحصل على الدنيا لا على الآخرة؛ فإذا رأيت الإنسان مبتهجاً فاعلم أن رغباته وأمانيه الدنيوية قد تحققت أو أوشكت أن تتحقق، وإذا رأيته حزيناً فاعلم أن رغباته وأمانيه الدنيوية لم تتحقق بعد وليست على وشك التحقق، وإن تحقيق حاجات اليوم وراحة اليوم وعزة اليوم واغتنام فرص اليوم هو الذي يُسمى نجاحاً عند الناس اليوم، والحرمان منها هو الذي يُسمى عندهم الفشل والخيبة، وهذا هو الذي تمشي وراءه القافلة الإنسانية بأسرها ولا أحد فيها يفكر في اليوم القادم، وبالجملة فإن كل إنسان أصبح كالمجنون لاهثاً وراء دنيا اليوم.

وهذه الحالة ليست قاصرة على المدن الكبرى، بل نجدها في أي مكان يوجد فيه جماعة من الناس، فأنت إذا رأيت واحداً منهم وجدته غارقاً في نفس الحالة وتسيطر عليه نفس الفكرة سواء في ذلك الرجل أو المرأة الغني أو الفقير المسنّ أو الشاب

الجاهل أو العالم المدني أو القروي بل حتى المتدين والملحد كلهم سائرون إلي وجهة واحدة ليس غير.

إن أكبر أمنية للإنسان اليوم هي أن يحصل في هذه الدنيا على كل ما يستطيع أن يحصل عليه، ويعتبر ذلك هو عمله فلأجله يصرف أحسن أوقاته وكفاءاته ومواهبه ويظل غارقاً في التفكير فيه ليلاً ونهاراً، حتى إنه يُضَحِّي من أجله بضميره وإيمانه، ولا يجد في ذلك بأساً، إنه على استعدادٍ لتقديم ضميره وإيمانه قرباناً لهذه الآلهة، وهو يريد أن يحرز الدنيا بأيّة وسيلة ومهما كان الثمن.

ولكن هذا النوع من النجاح هو نجاح دنيوي فحسب، ولا يمكن أن ينفع في الآخرة البتة، فمن كان جُلّ همه أن يبني دنياه اليوم وهو غافل عن جانب الآخرة، فإنّ مثله كمثل من لا يدّخر لكهولته أيام شبابه حتى إذا انهارت قواه وتزعزعت، وأصبح عاجزاً عن العمل، أدرك أنه لا ملجأ له ولا سكن، إنه يرى نفسه آنذاك بدون منزل وهو لا يستطيع أن يبنى لنفسه منزلاً، إنه يرى نفسه بدون ملابس وبدون فراش يحمى به نفسه من شدائد فصول السنة وهو لا يجد في نفسه قوة يوفر بها لنفسه الملابس والفرش، وإنه يرى نفسه غير قادر على تدبير طعامه.

إنه سيلجأ إلى ظل حائط وسيلتفّ بخرقةٍ والكلاب تنبح عليه من كل جانب والأطفال يقذفونه بالحصى. إننا نرى هذه المشاهد بأعيننا، ويمكن لنا أن نتصور من خلالها كيف تكون حياة الآخرة لمن لم يعد العدة لها، ولكن بالرغم من ذلك لا نشعر بشيء من القلق تجاهها، كلٌّ منا منشغل ببناء وتعمير يومه فقط ولا أحد يفكر في غده أبداً. عندما تنطلق صفارة الإنذار مُعلنة عن غارة جويّة خلال أيام الحرب وتعلن بصيحتها المروِّعة والمخيفة أن سرباً من طائرات العدوّ متوجه إلينا وحاملٌ القنابل المدمرة وأنه سيملأ المدينة بنيرانها ودخانها في بضع دقائق وأنه على كل شخص أن يتوجه إلى مخبإ قريب منه، وفجأة تصبح الشوارع العامرة خالية، حتى أنه من لا يفعل ذلك يقال عنه أبله أو مجنون.

هذا شأن خطر صغير في الدنيا، فما بالك بخطر أكبر وأهمّ من هذا الخطر، إنه خطر سيحدث حتماً، قد أخبر عنه وأنذر به مالك هذه الكائنات، لقد أعلن الله تبارك

وتعالى ـــــ على لسان رسله: **أيها الناس أعبدوا الله ربّكم، وليؤدِّ كلٌّ منكم حقَّ الآخر، واقضوا حياتكم وفق مرضاة الله، ومن لم يفعل ذلك فسوف يعاقب عقاباً شديداً لا أحد يستطيع تصوره، إنه عذاب أبديّ يتألم فيه الإنسان المعذَّب أبداً ولا يمكن له الخلاص منه إلى الأبد.**

لقد سَمِعَتْ هذا الإعلان كل أذن، واعترف به كل إنسان بأيّ شكل من الأشكال ولكن إذا نظرت في أحوال الناس وجدت هذا الأمر ليس جديراً بالاهتمام، يعمل الناس كل مالا ينبغي عمله للحصول على منافع دنيوية، وتندفع قافلة الحياة بسرعة إلى الطريق المحظور التوجه إليه، ويجري الناس فوراً استجابة لصفارة الإنذار التي انطلقت من مركز القيادة العسكرية، ولكن لا أحد يقلق من هذا الخطر الذي أعلن عنه مالك الكائنات، ولا يُهْرَعُ الناس استجابة لندائه الذي جاء على لسان رسله.

ما هو السبب في ذلك ؟

إن السبب هو أن الخطر الذي تعلن عنه صفارة الإنذار العسكرية يتصل بعالم اليوم الذي يراه الإنسان بأُمّ عينه ويحسّ بنتائجه في الحال، ولكن الخطر الذي أعلن عنه مالك الكائنات سيحدث بعد الموت، ويحول بيننا وبينه جدار الموت وهو لا يتراءى لأعيننا اليوم، إننا لا نرى طائراته أو قنابله أو ناره أو خطر دخانه، لذلك فإننا نوقن بصفارة الإنذار الجوية ونستجيب لندائها فوراً ولكن لا يتولد فينا أي خوف بعد الاستماع إلى نبإ العذاب الذي أنذرنا منه الله وأخبرنا به على لسان رسله، ولا ينشأ فينا بسببه ذلك اليقين الذي يحدث فينا استجابة للعمل. ولكن الله سبحانه وتعالى ـــــ لم يمنحنا فقط العينين اللتين تبدوان تحت الجبهة وتريان الأشياء الموجودة أمامها، إنّ لدينا عيناً أخرى غيرهما تستطيع أن ترى إلى مدى أبعد إنها ترى الحقائق المختفية أيضاً. وهذه العين هي عين العقل [القلب]

إشكالية ترجمة القرآن الكريم والأحاديث النبوية إلى اللغات الأجنبية وأثرها في سوء فهم الإسلام

بقلم الدكتور الصادق العثماني (أمين عام رابطة علماء المسلمين بأمريكا اللاتينية)

إن قضية ترجمة الكتب الإسلامية، وعلى رأسها القرآن الكريم وكتب السنة النبوية، إلى اللغات الأجنبية تُعد من القضايا الدقيقة التي تتداخل فيها الاعتبارات العلمية واللغوية والعقدية والتاريخية. فالترجمة في ذاتها ليست مجرد نقل كلمات من لغة إلى أخرى، بل هي نقل دلالات ومعانٍ وسياقات ثقافية وتشريعية وعقدية متراكبة، وهو أمر بالغ التعقيد حين يتعلق بنصوص مقدسة نزلت بلسان عربي مبين يحمل في بنيته البلاغية والبيانية مستويات متعددة من المعنى لا يمكن فصلها عن سياقه اللغوي والشرعي .

والإشكال الأساسي في هذا الباب لا يكمن في أصل التعريف بالإسلام لغير الناطقين بالعربية، فهذا مقصد شرعي وحضاري معتبر، بل في حدود الترجمة وإشكالياتها عندما تتحول إلى بديل عن الأصل أو إلى مصدر وحيد للفهم، دون الرجوع إلى أدوات التفسير وعلوم القرآن والسنة التي أسسها العلماء عبر القرون . فالنص القرآني ليس نصاً عادياً، بل هو نص ذو بنية تشريعية وبلاغية معقدة، تتداخل فيه دلالات العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والناسخ والمنسوخ، والحقيقة والمجاز، وأسباب النزول، وكل ذلك يشكل منظومة تفسيرية لا يمكن فصلها عن النص نفسه .

وعندما يُنقل القرآن الكريم إلى لغة أخرى، فإن المترجم، مهما بلغ من العلم، يظل عاجزاً عن نقل جميع هذه الطبقات الدلالية في عبارة واحدة، لأن اللغة المستهدفة قد لا تحتوي على مكافئ دقيق لبعض المفاهيم العربية الشرعية. ومن هنا تنشأ الإشكالية: فالقارئ غير العربي قد يقرأ نصاً مترجماً يظنه هو القرآن ذاته، بينما هو في الحقيقة فهم بشري محدود لمعنى النص، وليس النص في ذاته .

ومن الأمثلة التطبيقية القرآنية التي تُبرز هذه الإشكالية قوله تعالى: ﴿**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ**﴾، فهذه الآية إذا تُرجمت ترجمة حرفية مجردة من سياقها، قد تُفهم على أنها أمر مطلق بالقتل، بينما يقرر علم التفسير وأصول الفقه أنها واردة في سياق قتال فئة محددة من المحاربين في حالة حرب قائمة، وليست خطاباً عاماً تجاه كل الناس، بل إن السياق نفسه يقيده ويضبطه بنصوص أخرى تدعو إلى السلم والعدل . وكذلك قوله تعالى: ﴿**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ**﴾، وهي من أكثر الآيات التي تُساء قراءتها عند الترجمة الحرفية، إذ قد تُفهم بمعزل عن سياقها التاريخي المرتبط بنقض العهود وحالات الحرب، بينما توضح التفاسير أنها ليست حكماً مطلقاً، بل مرتبطة بظروفها وسياقها الخاص، ومقيدة بمجموع النصوص الشرعية .

ومن الأمثلة كذلك قوله تعالى: ﴿**فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾، فإن ترجمت مجردة دون بيان سياقها العسكري الخاص بحالة القتال، قد يوهم القارئ بأنها دعوة للعنف المطلق، بينما هي خطاب تشريعي مرتبط بواقعة حرب محددة، وليس قاعدة عامة في التعامل الإنساني . ومن الأمثلة التطبيقية أيضاً التي تُظهر خطورة الترجمة الحرفية دون مراعاة الدلالة البلاغية، قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾، فقد حاول بعض المترجمين نقل المعنى إلى اللغات الأوروبية بشكل حرفي شديد، فظهرت ترجمات فرنسية غير دقيقة من حيث الروح البلاغية للآية، من قبيل تشبيه الزوجين بقطع لباس مادي محدد مثل «البنطال»، فصيغت عند بعضهم بشكل يوحي بأن المعنى هو: «هنّ سراويل لكم وأنتم سراويل لهنّ». وهذا النوع من الترجمة الحرفية يُفقد النص القرآني عمقه البلاغي والرمزي، إذ إن كلمة «لباس» في العربية تحمل معاني السكن، والستر، والقرب، والانسجام، والاحتواء العاطفي، وهي دلالات لا يمكن حصرها في معنى مادي ضيق، مما يجعل المعنى القرآني أوسع بكثير من أي مقابل لغوي مباشر.

وفي السنة النبوية، يظهر بوضوح أثر الترجمة غير الدقيقة من ذلك حديث: «إنما الأعمال بالنيات»، فإذا تُرجم فقط إلى «Actions are judged by intentions» دون شرح، قد يُفهم أن النية وحدها تكفي دون العمل، بينما المقصود أن النية شرط أساس في قبول العمل وصحته، لكنها لا تلغي ضرورة تحقق الفعل وفق الضوابط الشرعية. وكذلك حديث: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، فإذا تُرجم حرفياً دون بيان معنى الكبر في الاصطلاح الشرعي، قد يُفهم أن أي شعور داخلي داخل في الوعيد، بينما بيّن النبي ﷺ أن الكبر هو «بطر الحق وغمط الناس».

أما الحديث الذي يكثر حوله الجدل: «لا تَبْدَؤوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه»، فإذا تُرجم حرفياً دون شرح علمي، فإنه يعطي انطباعاً غير دقيق عن علاقة الإسلام بغير المسلمين. بينما تقرر الشروح الحديثية أنه مرتبط بسياق تاريخي خاص، وأنه لا يعارض النصوص القطعية في البر والعدل والإحسان، مثل قوله تعالى: ﴿ **لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾.

كما أن ترجمة كتب الحديث، خصوصاً الكتب الجامعة كصحيح البخاري وصحيح مسلم، تثير إشكالاً إضافياً، لأن الحديث النبوي مرتبط بدقة الألفاظ والسياقات، وبعلوم الإسناد والعلل والجمع بين الروايات، وهي منظومة علمية لا يمكن نقلها بالكامل في الترجمة.

كما أن عدداً من المصطلحات الشرعية لا يقابلها مقابل دقيق في اللغات الأجنبية، مثل «الكفر» «الجهاد»، «الفتنة»، «الحدود»، «القصاص»، «لولاية»، مما يجعل الترجمة مجرد تقريب للمعنى لا نقلاً كاملاً له. ومن الإشكالات الكبرى التي زادت من تعقيد مسألة الترجمة، أن النظرة السلبية التي تشكلت لدى بعض الدوائر الغربية تجاه الإسلام لم تأت من فراغ، بل تبلورت تاريخياً عبر قراءات أولية للنصوص الإسلامية مترجمة إلى اللغات الأوروبية كالإنجليزية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية. فقد اعتمد عدد من المستشرقين في بدايات الدراسات الاستشراقية على هذه الترجمات دون الرجوع إلى أصول التفسير وعلوم الشريعة، مما أدى إلى بناء تصورات جزئية أو مشوهة عن الإسلام وأحكامه وقيمه. ومع مرور الزمن، تحولت بعض هذه القراءات إلى تصورات راسخة أعيد إنتاجها في الدراسات الأكاديمية والإعلامية، مما ساهم في ترسيخ صورة غير دقيقة عن الإسلام في بعض السياقات الغربية.

ومن النتائج الخطيرة التي ترتبت كذلك عن الاعتماد على الترجمات المجردة للنصوص الإسلامية، أن بعض الذين يعتنقون الإسلام في الغرب عن طريق الكتب المترجمة فقط، دون تكوين علمي رصين أو ارتباط بالمؤسسات العلمية المعتدلة، قد يقعون في فهم حرفي أو جزئي لبعض النصوص المتعلقة بالجهاد أو القتال أو قضايا الولاء والبراء، خاصة عندما تُقرأ هذه النصوص بمعزل عن مقاصد الشريعة وسياقاتها التاريخية والفقهية. وهذا القصور في الفهم قد يجعل بعضهم عرضة للتأثر بخطابات الجماعات المتطرفة التي تبني تصورها على القراءة المجتزأة للنصوص، لا على الفهم المقاصدي الشامل للإسلام. فالمشكلة هنا لا تكمن في النص الإسلامي ذاته، وإنما في طريقة تلقيه وفهمه خارج المنهج العلمي المتكامل الذي يربط بين النصوص الجزئية والكليات الشرعية ومبادئ الرحمة والعدل والتعايش. ولهذا نجد أن بعض المنخرطين في الحركات المتشددة لم يتلقوا الإسلام عبر مسار علمي متوازن، بل عبر ترجمات جزئية وقراءات سطحية معزولة عن التراث التفسيري والفقهي، مما أدى إلى اختزال الإسلام في مفاهيم الصراع والعنف، بينما جوهر الرسالة الإسلامية قائم على الهداية والإصلاح وحفظ كرامة الإنسان.

وهذا يبين أن الترجمة حين تُفصل عن منهجها العلمي الصحيح، لا تكون مجرد نقل لغوي، بل قد تتحول إلى أداة لتشكيل تصورات حضارية غير متوازنة، خصوصاً عندما تُقرأ النصوص الشرعية خارج سياقها التفسيري والأصولي، ودون إدراك لخصوصية اللغة العربية وبلاغة الخطاب القرآني والنبوي.

إن هذه الإشكالات لا تعني رفض الترجمة مطلقاً، بل تعني ضرورة ضبطها علمياً ومنهجياً، بحيث تكون ترجمة تفسيرية لا حرفية، ومصحوبة دائماً بهوامش توضيحية وإشارات إلى السياق، مع التأكيد المستمر أن النص المترجم ليس هو القرآن ولا الحديث، وإنما هو تقريب للمعنى لا بديل عن الأصل. كما ينبغي أن تتم هذه الترجمات تحت إشراف علماء متخصصين في التفسير وأصول الفقه واللغة، حتى لا تتحول إلى مصدر لسوء الفهم أو التشويه غير المقصود.

وفي الختام، فإن النصوص الإسلامية بما تحمله من عمق لغوي وتشريعي لا يمكن اختزالها في قالب لغوي بسيط دون فقدان جزء من دلالاتها، ومن هنا تأتي خطورة الترجمة غير المنضبطة، وضرورة التعامل معها بوصفها وسيلة تعريف لا بديلاً عن الفهم العلمي المتكامل للنصوص الشرعية الأصلية .

عنايةُ الشّيخ محمّد الحبيب المستاوي ـ رحمه اللّه بالقرآن الكريم وبالسُّنّة النّبويّة في مُؤلّفاته ومقالاَتِه

دراسة من إعداد: الأستاذ الدكتور علـــي العلـــوي
أستاذ تعليم عال مُتميّز بجامعة الزيتونة

الحمدُ للهِ الأعزِّ الأكرمِ * مُعلِّم الإنسان ما لمْ يَعلمِ
أكرمنا بدِينهِ القويمْ * وباتّباع المَنهجِ السّليمْ
وقد هدانا بالكتابِ الخالدِ * وأحكمَ التّنزيلا بالقواعدِ
والفضلُ فيه عائدٌ إليه * نَحمَدُهُ سُبحانه عليهِ
مُصلِّيًا على النّبيِّ أحْمَدًا * مَنْ عَلَّم الأصولَ والقواعدَا
صلَّى عليهِ ربُّنَا ومجَّدَا * والآلِ والصّحبِ دوامًا سرمدَا[1]

يلحظُ الدّارس والقارئ لتفسير الشّيخ للقرآن الكريم والمنشور بمجلّة جوهر الإسلام منذُ صُدُورها، اهتمامه وعنايته بالقرآن الكريم والسُّنّة النبويّة لشّريفة؛

- ✓ حفظًا وفهمًا
- ✓ وتفسيرًا
- ✓ وتدريسًا
- ✓ واستدلالاً

(1) الجُهني: «عبد الحميد بن خليوي»: شرح منظومة اللآلي البهيّة في القواعد الفقهيّة، دار النصيحة المدينة المنورة، ط (1)، 1433ه، ص (7).

ويعُودُ اهتمامه بالعلوم الشّرعيّة وبالقرآن الكريم وبالسُّنة النّبويّة إلى مكانة عِلْمِ الشّريعة مقارنة بالعلوم، فالشيخ الحبيب المستاوي – رحمه الله– ظلّ طول حياته يحثّ الطلبة والمُفتين والأئمّة وكافة النّاس على الاهتمام بعلم الشّريعة والإقبال عليه؛

* دراسةً * وبحثًا * وتحقيقًا * واستنباطًا

يقول النّاظم مُبيِّنًا مكانة علم الشّريعة بمُختلف اختصاصاته (تفسير ـ فقه ـ أصول فقه ـ مقاصد ـ قواعد ـ عقيدة ـ شرح حديث نبوي ـ سيرة ـ تاريخ إسلامي – ...)

وَبَعْدَ ذَا فَأَفْضَلُ السَّجَايَا * * العلمُ وَهْوَ أَجْزَلُ العَطَايَا
وَهْوَ حَيَاةُ مَيّتِ الأَحْيَاءْ * * وَالتَّاجُ فَوْقَ أَرْؤُسِ العُلَمَاءْ
نُورُ الهُدَى حِلْيَةُ الأَوْلِيَاءْ * * وَهْوَ تُرَاثُهُمْ مِنْ أَنْبِيَاءْ
مَنْ نَالَهُ نَالَ قَصَى المَرَاتِبْ * * وَفَازَ بِأَفْضَلِ المَطَالِبْ
لَاسِيَمَا عِلْمُ الشَّرِيعَةِ العَلِي * * بِذَاكَ الاسْمِ فَفَضْلُهُ جَلِي
فابْتَحِثُوا بِأَصْلِهِ وَفَرْعِهِ * * وَلْيُودَ عَنْهُ كُلُّهُمْ فِي زَرْعِهِ
وَأَصْلُهُ القُرْءَانُ وَالحَدِيثُ * * فَكُلُّ عِلْمٍ مِنْهُمَا مَوْرُوثُ
فَأَسْنِدُوا دِينَكُم إليهَا * * واعتَمِدُوا في عِلْمِهِ عليهَا
لِكَيْ تَكُونوا مِنْ ذَوِي التَبَصُّرِ * * وتَخْرُجُوا مِنْ زُمْرَةِ التَحيّر[1].

إنّ القرآن الكريم هو الحبل المتين، بل هو المُعجزة الخالدة، ففي حديثٍ أخرجه الإمام البخاري في الجامع الصحيح، قول الرّسول ـ ﷺ : «**ما من الأنبياء من نبيٍّ، إلا وقد أُعطَى من الآيات ما مِثلُه آمنَ عليه البشرُ، وإنما كان الذي أُوتيتُه وحيًا أوحاه اللهُ إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعًا يومَ القيامةِ**»[2]. ويُفيد هذا الحديث أنّ القرآن الكريم معجزة خالدة مستمرّة إلى يوم القيامة، فهو خارق للعادة أعجز العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة في أسلوبه وبلاغته.

---

(1) بن فودي النيجيري: «عبد الله»: ألفية الأصول وبناء الفروع عليها، شرح ودراسة الدكتور محمد تكر بن محمد الثاني غلم، أرغنغ، دار الأمة لوكالة المطبوعات، كنوا، نيجيريا، ط (1)، 1433ه/ 2012م، ص 12.

(2) مسلم: المسند الصحيح: كتاب الإيمان: باب في قول النبيّ «أنا أوّل الناس يشفع في الجنّة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً». مج (4)، ج (1)، ص (188)، حديث رقم (330) ورقم (331).ـ ابن ماجه: السُّنن: كتاب الزُّهد: باب: ذكر الحوض، مج (18)، ج (2)، ص 1438، حديث رقم (4301).

ظلّ الشّيخ الإمام الحبيب المستاوي ـ رحمه الله- مفسرًا للكتاب العزيز شارحًا له في خُطبه، ولا غرو إذ هو من كبار حفّاظه.

وبرزت هذه العناية في كلّ ما كتبه ودوّنَهُ؛ برزت في مقالاته المنشورة بمجلّة جوهر الإسلام منذ صدورها سنة 1968م مفسّرًا شارحًا لكتاب الله عزّ وجلّ. كما ظهرت في دراساته المنشورة بالكتاب الموسوم بـــ: من وحي الإسلام، الصادر سنة 1981م بمطبعة الشركة التونسيّة لفنون الرسم بتونس.

قال الشّيخ في دراسة له بعنوان: «**لم يكن خلاص المسلمين إلاّ عن طريق العودة للقرآن**»: «ما تزالُ هذه الأمّة بخير تتحاماها[1] الخُطوب[2] وتتحكّم على صخورها النوائب ما تسمكت بكتاب الله وأحيت سُنّة رسوله ﷺ تلتفتُ إليهما كلّما احْلَوْلكت الأجواء وتلبّدت الغيوم لتجد منها المشاعل التي تُنير الطريق وتُمزّق الغيهَبَ وتُحقّق المغنم والسّلامة، فخليق بها أن تُولِيهما من الاهتمام والعناية ما يُناسب مقامهما الرّفيع»[3]. كان الشيخ واعيًا بقيمة الكتاب العزيز والسُّنّة النبوية الشريفة مصداقًا لقول الرسول -ﷺ-: «تركتُ فيكم أَمْرَيْنِ لن تَضِلُّوا ما تَمَسَّكْتُمْ بهما: كتابَ اللهِ وسُنَّةَ نبيِّهِ ﷺ»[4]. وقوله - ﷺ-: «يا أَيُّها النَّاسُ! إنِّي قد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضِلُّوا، كتابَ اللهِ وعترتي أهلَ بيتي»[5].

(1) [تحاماه الناس أي: توقُّوه واجتنبوه، وحمَى الشيء حما وحمًى وحمايةً ومحميّة: منعه ودفع عنه ... وحمَى المريض ما يضُرّه حمية، منعه إيّاه واحتمى هو من ذلك وتحمَّى: امتنع].
ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط (1)، 1997م، مج (2)، ص 166 وص 165، مادة: (حَمَى).
(2) [الخَطْبُ: الأمر الشّديد، ينزِلُ ... ج خُطوب الأمر: صغُرَ أو عَظُمَ].
رضا: «أحمد»: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط(2)، 1377ه/ 1958م، مج (3)، ص 296: مادة: (خطب).
(3) المستاوي: «الحبيب»: من وحي الإسلام، منشورات جوهر الإسلام، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، (ط): أوت 1981م، ص (51).
(4) مالك: «الموطّأ»: كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، مج (20)، ج (2)، ص 899، حديث رقم: (3).
(5) الترمذي: «السُّنن»: كتاب: المناقب، باب: في مناقب أهل بيت النبيّ -ﷺ-، مج (14)، ج (5)، ص (662)، حديث رقم: (3786).

إنّ القرآن الكريم -كما بيّن الشيخ- كتاب هداية وإرشاد لقوله تعالى: ﴿**الٓمٓ (1) ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (3)**﴾[1].

«لقد كان القرآن الكريم الدستور الرباني الذي يوائم بين البشر من جهة وبين جميع الكائنات من جهة أخرى في تناسق وتجاوب واتّساق للاتّجاه بهما جميعًا إلى فاطر الأرض السماوات والذي ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾[2]، فالبشر كلّهم والكائنات جميعها خاضعون لإرادته، منفّذون لمشيئته»[3].

ضرورة التّمسُّك بالقرآن الكريم؛ حفظًا وفهمًا وتطبيقًا، والحفظ ضروري لكن الاكتفاء به والاقتصار عليه لا يكفي، إذْ لَا بُدّ من الفهم وهذا ما ورد في القرآن الكريم، إذ يقولُ المولى - عزّ وجلّ-: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾[4]، ويقول أيضًا: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾[5]، ويُبيّن ضرورة التدبُّر في آيات القرآن الكريم وتطبيقها في حياة المؤمن: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾[6].

يقول النّاظم: النيجيري عبد الله بن فودي، مُبيّنًا فضائل القرآن العزيز داعيًا إلى الالتزام به:

- **حفظًا**: كما فعل الشيخ - رحمه الله- وهذا ما بيّنه الأستاذ صالح العود الذي قال: «الشّيخ الحبيب المستاوي أصيل مدينة تطاوين دُرّة الجنوب التونسي، ولد ونشأ وحفظ القرآن فيها»[7].

---

(1) سورة البقرة: الآية رقم (1-3).
(2) سورة الإسراء: الآية رقم (44).
(3) عبد العظيم: «علي»: فلسفة المعرفة في القرآن الكريم، تقديم: أ.د: نظير محمود عيّاد، هديّة مجلة الأزهر، شهر ربيع الآخر، 1445ه، ص (39).
(4) سورة النّساء: الآية رقم: (82).
(5) سورة ص: الآية رقم: (29).
(6) سورة محمد: الآية رقم: (24).
(7) العُودْ: «صالح»: لَمَعَات عن المصلح الحبيب المستاوي: ما بين شيخ علامة ... وشاعر فهّامة - رحمه الله- مجلّة جوهر الإسلام، السنة (22)، العدد (9/ 10): 1445هـ/ 2024م، ص (8).

- **وعنايةً**: حيث واظب على تفسيره في مجلّته - جوهر الإسلام- وفي خطبه ودروسه، كما تولّى الأمانة العامة للجمعيّة القوميّة للقرآن الكريم.
- **وتمسُّكًا**: حيث كان بارًّا بالفقراء والمساكين وخاصّة الطلاّب القادمين من البلد الشقيقة والصديقة.
- **وفهمًا**: بواسطة التفسير ذي العُمق والثّراء بلغة عربيّة فصيحة، برزت فيها قواعدها بكلّ إتقان.

فالحفظ والعناية والالتزام والفهم ثمّ التطبيق، هذا هو منهج تعامل الشّيخ مع القرآن الكريم. أعود إلى قول النّاظم والذي بيّن فضائل القرآن الكريم:

ذاك كتَـابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ** وفُصِّلَتْ ونُوِّرَتْ صِفَاتُهُ
وهو القرآنُ المُعْجِزُ الفَصِيحُ ** وحِفْظُهُ بِنَصِّهِ صَرِيحُ
وهو صـرَاطُ اللَّهِ يَسْتَبِينُ ** ونُورُهُ وَحَبْلُهُ المَتِينُ
كلُّ العُلُوْمِ مِنْهُ تَسْتَمِدُّ ** وكُلُّ ما خَالَفَهُ فَـرَدُّ
جَاءَتْ بِهِ فَضَائِلٌ فِي الْجُمْلَةِ ** مِنَ الأحَادِيثِ الثِّقَاتِ النَّقَلَةِ
قَدْ جَاءَ فِيهِ شَافِعٌ مُشَفَّعُ ** وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ مُتَّبَعُ
جاعِلُهُ أَمَامَه يَقُوْدُ ** لِجَنَّةٍ أَوْ خَلْفَهُ وَقُوْدُ
وَفَضْلُهُ لِسَائِرِ الْكَلَامِ ** جَاءَ كَفَضْلِ اللهِ لِلْأَنَامِ
مَا رَجَعَ الْعَبْدُ إِلَى الإِلَهِ ** كَخَارِجٍ مِنْه بَلا اشـتِباهِ
وَهُوَ كِتَابُ اللهِ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ ** وَحَبْلُهُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ
عَزَّ فَلَا تُزِيْغُهُ الأَهْوَاءُ ** كَلَّا فَلَا يَشْبَعُهُ الْعُلَمَاءُ
مَنِ اهْتَدَى بِغَيْرِهِ أَضَلَّهُ ** تارِكُهُ تَكَبُّرًا أَذَلَّهُ
لا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ ** جَهالَةُ الْجَاهِلِ ذِي الأَحْزَانِ
بَيْتٌ بِهِ يُقْرَأُ خَيْرًا يَكْثُرُ ** وَالْخَالِ عَنْه الشَّرُّ فِيهِ أَكْثَرُ
عَنْ أَنَسٍ قَدْ أَخْرَجَ الطَّبَرَانِي ** أَهْلُ الإِلَهِ هُمْ ذَوُو الْقُرْآنِ
وَكُلُّ مَنْ عَلَّمَهُ نِتَاجَهُ ** تَوَّجَهُ مِنَ الْجِنَانِ تَاجَهُ[1].

(1) بن فودي: «عبد الله»: سلالة المفتاح، ص (126). نقلًا عن بللّو: آدم: عبد الله بن فودي ومؤلفاته في التفسير، موقع الألوكة: www.aluka.net عرض ومقارنة: ص ص ص: (45، 51، 52).

عناية الشّيخ الحبيب المستاوي بالسُّنّة النبويّة الشّريفة:

لقد نالت السُّنّة النّبويّة الشّريفة حظّها من الاهتمام في آثار الشّيخ ودراساته وفي كلّ ما كتبه في جوهر الإسلام.

وفي كتابه «**من وحي الإسلام**» وفي تفسيره للكتاب العزيز وفي خطبه ودروسه بالزّيتونة تلك الجامعة التي أشعّت شرقًا وغربًا وسأقتصر على إيراد نماذج من استدلال الشّيخ بالأحاديث النّبويّة الشّريفة:

السُّنّة النّبويّة هي الدّليل الأصوليّ والمصدر الثاني للتّشريع، لأنّ الرّسول محمّد -ﷺ- بعثه الله مُبشّرًا ونذيرًا ومُبلِّغًا للوحي إلى الناس كافّة قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾[1].

تحدّث الشّيخ عن قيمة العلم في الإسلام ومكانة العلماء فيه مُبيّنًا أنّ الإفتاء لا تجوز إلاّ ممّن نال الدّرجة العالية من العلوم الشّرعيّة وبلغ مرتبة الاجتهاد أو الاجتهاد المطلق، لا كما يحدث في هذا العصر، حيث كثر عدد المُتطفّلين على الإفتاء، فاختلط الحابل بالنابل وانتشرت الفتاوى الغريبة. في هذا المقال الذي شرح فيه الشّيخ ضرورة أن لا يكتب في علم الشريعة وأن لا يُفتي أو يجيب عن أسئلة الناس إلاّ من تبحّر في العلم الشرعي وشهد النّاس بمكانته العلميّة.

قال الشّيخ: «لقد ردّد الناس آية قرآنيّة في مقامات كثيرة واستعملوها كلّما أرادوا أن يرجعوا إلى أصحاب فنٍّ يستشيرونهم فيه، هذه الآية هي قوله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[2]، وممّا يؤسَفُ له أنّ الآية أصبحت تستعمل عند كثير من الناس فأصبح الإفتاء بابًا مفتوحًا لمن هبّ ودبّ إذ حتّى الجاهل أصبح يُفتي»[3].

قال الشّيخ: «.. فالذِّكْرُ هو اسم من أسماء القرآن وأهل القرآن، وعلماء القرآن هم علماء الشّريعة الإسلاميّة الذين اختارهم الله واصطفاهم ليكونوا ورثة وحيه وحفظة كتابه والمفسّرين لأحكامه وعلومه، إنّهم أولئك الذين قال الله -تبارك وتعالى- في حقّهم: ﴿ **فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا**

(1) سورة النّجم: الآية رقم (3-4).
(2) سورة الأنبياء: الآية رقم (7).
(3) المستاوي: «الحبيب»: كلّ المجالات يُحترم فيها الاختصاص إلّا الدِّين، مجلّة جوهر الإسلام، السَّنة (23)، العدد (1-2): 1445ه/ 2024م، ص (93) بتصرّف.

﴿رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1] فهذا النّفير وذلك التّفقّه الذي هو نوع من التّخصيص والتّعمّق والتّبحّر لم يكونَا أبدًا في متناول جميع الناس بل إنّ الأقدار الإلهيّة انتدبت لهذا الغرض النّبيل من اختارهم الله ليكونوا ورثة أمناء لأنبياء الله ورسله -عليهم السلام-، يتعلّمون عنهم ومنهم ما أنزله الله عليهم من وحي وبذلك يصبحون الورثة الشرعيّين لخيار الخلق وهداة الأنام -عليهم الصلاة والسلام-، ولقد صدق رسول الله -ﷺ- حين قال: «**العلماءُ ورثة الأنبياء**»[2][3].

استدلّ الشّيخ بالقرآن الكريم والسُّنة النّبويّة ليوضّح خطورة التطفّل على العلم الشرعي ونبّه إلى أنّ المختصِّين في العلوم الشرعيّة هم المكلّفون بإجابة الناس عمّا يعترضهم من نوازل بما فيها المستجدّات، فشيوخ الزّيتونة كلّهم مؤهَّلُون للإفتاء بحكم الاختصاص وكذلك علماء الأزهر وجامع القرويِّين وعلماء مجمع الفقه الإسلامي بجدّة ومجمع الفقه الإسلامي بمكّة المكرّمة.

قال نابغة الأغلال مُبيِّنًا ضرورة عدم التساهل في الفتوى وتجنّب إسنادها لأيّ كان، لأنّ المُفتي موقِّعٌ عن ربّ العالمين:

ولم يَجُز تسَاهُلٌ في الفَتوى ** بل تحرم الفتوى بغير الأقوى
وكلُّ عالِمٍ بذاك عُرِفَا ** عن الفتاوَى والقضاءِ صُرِفَا
إذ كُلُّ مَن لم يَعتَبِرْ تَرجِيحَا ** فعِلمُهُ ودِينُه أُجِيحَا
وكُلُّ مَن يَكفِيه أن يُوافِقَا ** قَولاً ضَعيفًا لم يَجِدْ مُوَافِقَا
لِخَرْقِهِ إجماعَ هَذِي الأُمّهْ ** بالحُكم بالمَرْجوح للأيِمَّهْ
والحكمُ بالضّعيف غيرُ هادِ ** ما لم يَكُن مِن أهلَ الاجتهادِ
أمّا المُقلِّد فمَحجُورٌ عليهِ ** وعندَ تركِ راجِحٍ رُدَّ إليهْ[4].

---

(1) سورة التّوبة: الآية رقم: (122).

(2) ابن ماجه السُّنن: المقدّمة: مج (17)، ج (1)، ص (81)، حديث رقم (223)، وقد أخرجه بهذا اللفظ عن أبي الدّرداء قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**».

(3) المستاوي: «الحبيب»: كلّ المجالات يُحترم فيها الاختصاص إلّا الدِّين، مجلّة جوهر الإسلام، السَّنة (23)، العدد (1-2): 1445هـ/ 2024م، ص (95).

(4) **الغلاوي الشنقيطي: «مُحمّد النّابغة بن عمر»**: من نصوص الفقه المالكي: بو طليحيّة، تحقيق ودراسة: يحيى بن البراء، المكتبة المكية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ومؤسسة

المصادر والمراجع

1. الجُهني: «عبد الحميد بن خليوي»: شرح منظومة اللآلي البهيّة في القواعد الفقهيّة، دار النصيحة المدينة المنورة، ط (1)، 1433هـ.

2. رضا: «أحمد»: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط(2)، 1377هـ / 1958م.

3. عبد العظيم: «علي»: فلسفة المعرفة في القرآن الكريم، تقديم: أ.د: نظير محمود عيّاد، هديّة مجلة الأزهر، شهر ربيع الآخر، 1445ه.

4. العُودْ: «صالح»: لَمَعَات عن المصلح الحبيب المستاوي: ما بين شيخ علامة ... وشاعر فهّامة – رحمه الله– مجلّة جوهر الإسلام، السنة (22)، العدد (9/ 10): 1445ه/ 2024م.

5. الغلاوي الشنقيطي: «مُحمّد النّابغة بن عمر»: من نصوص الفقه المالكي: بو طليحيّة، تحقيق ودراسة: يحيى بن البراء، المكتبة المكية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ومؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط (1)، 1422هـ/ 2002م.

6. بن فودي النيجيري: «عبد الله»: ألفية الأصول وبناء الفروع عليها، شرح ودراسة الدكتور محمد تكر بن محمد الثاني غلم، أرغنغ، دار الأمة لوكالة المطبوعات، كنوا، نيجيريا، ط (1)، 1433هـ/ 2012م.

7. بن فودي: «عبد الله»: سلالة المفتاح، نقلاً عن بللّو: آدم: عبد الله بن فودي ومؤلفاته في التفسير، موقع الألوكة: www.aluka.tn- عرض ومقارنة.

8. المستاوي: «الحبيب»: من وحي الإسلام، منشورات جوهر الإسلام، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، (ط): أوت 1981م.

9. المستاوي: «الحبيب»: كلّ المجالات يُحترم فيها الاختصاص إلاّ الدِّين، مجلّة جوهر الإسلام، السَّنة (23)، العدد (1–2): 1445ه/ 2024م.

10. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط (1)، 1997م.

* الحديث

11. مالك: «الموطّأ»

12. مسلم: المسند الصحيح.

13. ابن ماجه: «السُّنن».

14. الترمذي: «السُّنن».

الريان، بيروت، لبنان، ط (1)، 1422ه/ 2002م، ص ص ص: 134، 135، 136.

فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي عالم نذر عمره لخدمة الدين والعلم

بقلم فضيلة الشيخ عبد القادر عاشور

إمام وخطيب مسجد عمر بن الخطاب بباريس الدائرة الحادية عشر

الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه ومن سار على هديه إلى يوم الدين .

السّادة العلماء أصحاب الفضيلة الإخوة الأفاضل، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

نجتمع اليوم في هذا المجلس المبارك لنحتفل بمئوية علم من أعلام تونس ورائد من رواد الخير فيها فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله وطيب ثراه .

مائة سنة ونيف شاهدة على ميلاد نسمة من نسمات الخير، وإذا كان أثر الروح يبدأ من عالم الذر كما ذكر عن الشيخ عبدالعزيز الدبّاغ رحمه الله في كتاب الإبريز ففي شرح حديث (والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) ذكر أن علاقة الناس ببعضهم في الدنيا تكون تبعا للقائهم في عالم الذر فإذا التقت الأرواح وجها لوجه في ذلك العالم كان بين أشخاصهم في الدنيا شديد المحبّة، وإذا التقت الأرواح ظهرا لظهر كان بين أشخاصهم في الدنيا شديد البغض وهكذا يزداد الحب والبغض بحسب زاوية الالتقاء في ذلك العالم . أفلا يكون لها أثر إذا حلت في الدنيا . ولقد ذكر الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى:﴿**وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ [الأنعام :59]

عن عبد الله بن الحارث قال: ما في الأرض من شجرة ولا كمغرِز إبرةٍ إلا عليها ملك موكّل بها يأتي الله بعلمها: (34) يبسها إذا يبست، ورطوبتها إذا رَطبت.

فكيف بنفس طيبة حلت بهذه الدنيا ؟

وكيف يعرف طيب النفوس من عكسها؟ يعرف بخواتيمها وقد قال ﷺ:(إنما الأعمال بالخواتيم) لقد التحقت روح الشيخ ببارئها راضية مرضية يوم الخميس12 رمضان بعد الامساك للصيام وقيامه للصلاة ففاضت روحه في أثناء سجوده. ما أجملها من نهاية يتمناها كل مؤمن صادق.

ولا تستغرب هذه النهاية لرجل أقل ما يقال في مدحه : إذا كانت النفوس كبارا حارت في مرادها الأجساد. صحيح أنه لم يعش كثيرا، وافاه الأجل وهو في الثانية والخمسين من عمره وهو في أوج عطائه. ولكن ما أبرك هذا العمر ملأه خيرا وقربا وبِرا ونفعا .

ذلك العالِم الجليل الذي نذر عمره لخدمة الدين والعلم، وجعل من الدعوة إلى الله رسالة حياة، ومن الكلمة الصادقة سبيلاً للإصلاح والهداية. لقد كان رحمه الله منارة مضيئة، يعلّم ويرشد بالحكمة والموعظة الحسنة، ويغرس في النفوس محبة الله ورسوله، ويوقظ الهمم إلى معاني الاستقامة والعمل الصالح.

اشتغل مدرساً بفروع الزيتونة في عدة مدن تونسية،، كما درَّس بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بمدينة تونس، وبالأكاديمية العسكرية التونسية.

وكانت للشيخ رحمه الله أنشطة خارج تونس حيث دعي للمشاركة في مؤتمرات اسلامية عالمية في ليبيا ومكة المكرمة والجزائر وقام بزيارات علمية الى المغرب والجزائر وليبيا وفرنسا.

وقد تميز هذا العالم الجليل رحمه الله تعالى بخصوصية في مسيرته الدعوية والعلمية تتمثل في محاولته الربط بين الإسلام كمبادئ وتعاليم من عبادات ومعاملات وأخلاق وبين الشأن العام .فالإسلام عنده سلوك ومعاملة وحياة . وحتى يروّج لهذا المبدأ القائم على التلازم بين الإيمان والعمل بالجوارح، استخدم جملة من وسائل الاتصال بينه وبين الأمة، فكان منها مجلة جوهر الإسلام الغرّاء

حيث تميزت هذه المجلة بالوسطية والاعتدال ،لتسهم في وعي إسلامي راشد لقارئيها ،منذ فجر تأسيسها على يده، وذلك سنة 1968 وهي أول مجلة من نوعها ذات صبغة إسلامية بعد الاستقلال في البلاد التونسية. التي خصّصت مواضيعها

للثقافة العربية الإسلامية . وتحقيقا لمبدأ الأثراء والتنوع دعا للكتابة فيها شيوخ أجلاء من جامع الزيتونة المعمور وثلة نيرة من علماء البلاد العربية الإسلامية .

وبالعودة إلى افتتاحيات جوهر الإسلام نستشرف الخط الدعوي الإسلامي الهادف للشيخ منهجا وأسلوبا. في هذه المقدمات للمجلة يحاول الفقيد -رحمه الله- إبراز حكمة الأوامر الشرعية ،من عبادات ومعاملات وأخلاق ،لإقناع المتتبع لها بالحكمة الربانية ونتائجها الإيجابية الكبرى في حياة المسلمين جميعا، والتي جعلت منهم كما قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ**﴾ .... كما كان يعرض في هذه الافتتاحيات، تجاربه في الدعوة الإسلامية الناجحة شكلا ومضمونا ،حيث يتوخى الواقعية في التقييم ،متجنبا الأحكام العاطفية اللاّواعية والتي توقع في التطرّف وبالتالي الاصطدام .

وكثيرا ما يقدم أسلوبه في الدعوة، والمتمثل في الخطاب العقلاني المنطقي الذرائعي أحيانا إلى دعاة الإصلاح بدافع النصح ،داعيا إياهم بالالتزام به في عملهم الدعوي ،حتى يثمر عملهم الإسلامي. كما كان ينصحهم بنبذ العنف في الدعوة مما ينفر الناس منهم، رغم إخلاصهم في دعوتهم، وذلك تأسيا بالمنهج الإسلامي الذي جاء في قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** ﴾مشيرا إلى هذا المنهج القرآني بقوله: (أجل هذه هي دعوة محمد عليه السلام، وهذه هي طريقتنا التي سنتوخى سبيلها، وأنها سليمة القصد، ومأمونة الجوانب ،إذ ليس في الإسلام عنصر ضعف ولا مركب شذوذ، حتى نعمد إلى تغطيته بالجلبة والتحمس، ونأسف على افتضاحه وهتك أستاره)

كما تصدى الشيخ في دعوته لدحض الشبهات عن الإسلام التي ألبسها إياه أعداء الإسلام من أهله ومن غير أهله، فصحح المفاهيم الاسلامية المنحرفة والتأويلات المغرضة وتطبيقا لهذا المنهج الدعوي، ولما يتحلى به الشيخ من حكمة وبعد نظر وحتى يتواصل إصلاحه لم يصطدم بمن قلدهم الله مقاليد الأمة بل كان يخاطبهم بلغة رقيقة ناعمة فيحملهم مسؤولية صلاح المسلمين أو فسادهم وقوتهم أو ضعفهم ووحدتهم أو تمزقهم وانتصارهم أو انهزامهم وذلك بأسلوب يتسم بكل حكمة ورفق ولين حتى لا يصطدم بالسلطان فيؤثر ذلك على مسيرته الدعوية وقصده الطيب هو إرضاء الله بأداء النصيحة عملا بقوله عليه السلام (**الدين النصيحة**).

أما الوسيلة الثانية التي اتخذها الشيخ في نشر دعوته بصفته داعيا مسؤولا فهي منبر الجامع. فكان خطيبا بجامع مقرين على مدى سنوات فيحمل في خطبه المصلين على أن يتفاعلوا معه معتمدا في ذلك على ما وهبه الله من وعي حقيقي ومعرفة صحيحة بالدين الإسلامي وباعتباره مدرس وعظ وإرشاد تجول في العديد من جوامع العاصمة التونسية وأحوازها القريبة جاعلا منها مجالس دينية يلتقي فيها بعامة الناس فيقدم لهم معرفة دينية ميسرة في أسلوبها تعرفهم بربهم ودينهم ويتلقى منهم مسائل ويجيب عنها بوضوح وإقناع.

كما كان للشيخ في الإذاعة الوطنية التونسية حصتين دينيتين في الأسبوع، الأولى حديث الصباح والثانية حديث الجمعة

إضافة إلى ذلك لم يترك فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي بصفته داعية وسيلة من وسائل بث التوعية الاجتماعية والفكرية والدينية والوطنية إلا واستخدمها وبصفته أدبيا كان يكتب المسرحيات الهادفة وينظم الأناشيد والقصائد الدينية وشارك في الاجتماعات الحزبية ملتزما في كل عمله الدعوي بما هدف إليه والمتمثل أساسا في الربط المحكم بين الإيمان الصحيح والوفاء للوطن والمعادلة التي التزم بها الشيخ –رحمه الله– في مسيرة دعوته هي تحقيق الصلة المتينة بين الإسلام والحياة، كلفه ذلك تضحيات وأتعاب لم يعبأ بها غايته في ذلك وجه الله تعالى وخدمته لدينه الحنيف.

ومن عظيم حسنات الشيخ رحمه الله ،أن وفّقه الله لينشئ ابنا صالحا عالما يرث علمه وسرّه، وهذا من أعظم المنن الإلهية على العبد . وهو الذي حمل اللّواء من بعده، في الإشراف على مجلة جوهر الإسلام ونشرها، نجله فضيلة الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي حفظه الله وبارك في أنفاسه. فكان خير خلف لخير سلف، وهو على خطى والده رحمه الله في منهج دعوته وتعليمه، وممّا أهداني من كتبه جزاه الله خير الجزاء : التسامح والتعايش في الإسلام، والوسطية والاعتدال في الإسلام، فهو نفس المنهج الذي كان عليه والده،وقد قال الشاعر: قد اقتدى عَديٌّ بأُبه في الكرم ومن يشابه أَبَه فما ظلم.

وما أحوجنا إلى مثل هذا المنهج أيها الإخوة، في وقت كثرت فيه أصابع الاتّهام للإسلام الصّافي النّقيّ،نتيجة سلوك بعض المسلمين الذين لم يفهموا جوهر هذا الدين الحنيف. يذكرني هذا بقول سماحة الشيخ أحمد كفتارو مفتي سوريا السابق

رحمه الله وطيب ثراه في هذا الخصوص وهو شيخي وأستاذي .قال لنا في أحد دروسه إن مثل الإسلام كمثل ملكة الجمال كل من يراها ينبهر بجمالها ولكن أشخاصا وضعوا قناع غوريلا على ذلك الوجه الجميل، ثم دعـوا الناس لرؤية ملكة الجمال فلما دخل الناس وجدوا وجها في غاية القبح فأصبحوا يصرخون، وكان من المفروض أن يصفقوا ويضحكوا . ثم قال الشيخ : فملكة الجمال هي الإسلام ،وقناع الغوريلا هو سلوك بعض المسلين السيّئ في أيامنا هذه.

وأخيرا أقول إن مرور عقود على وفاة فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله لا يزيد أثره إلا رسوخًا، ولا ذكراه إلا حضورًا، فالعلم الصادق لا يموت، والجهد المخلص يبقى شاهدًا لصاحبه. نسأل الله تعالى أن يتغمّد الشيخ الحبيب المستاوي بواسع رحمته، وأن يجزيه عن العلم والدعوة خير الجزاء، وأن يلهمنا الاقتداء بسيرته، وحمل رسالته في الصدق والإخلاص وخدمة الناس، إنه سميع مجيب.

* لطيفة من اللّطائف الكريمة التي حصلت معي عند حضوري مئوية فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله تعالى وطيّب ثراه وقد ذكرتها لنجله فضيلة الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي وهذا ما كتبته له في إبّانه بتاريخ 11 فيفري 2026:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فضيلة الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي

أشكركم جزيل الشكر على تعزيتكم بوفاة والدتي، ومواساتكم وجميل دعائكم، مع كريم حفاوتكم وحسن إكرامكم لما أقمنا عندكم فأسأل الله لكم تمام العناية والرعاية والتأييد والحفظ .

وسبحان الله لقد كان حضوري لذكرى مئوية والدكم رحمه الله وطيب ثراه سببا ظاهرا لتمكني من العيش مع والدتي أسبوعا قبل موتها، لأنني فكرت أول الأمر أن آتي إلى العاصمة مباشرة لحضور ذكرى المئوية بعد أن أصلي الجمعة في باريس ثم أذهب إلى قرقنة ولكن لم أجد رحلة مناسبة إلا في صباح السبت 7 فيفري وهو غير مناسب فقررت أن أسافر قبل أسبوع من المئوية وأقضي أسبوعا مع الوالدين وآتي يوم الجمعة عندكم فسافرت يوم 31 جانفي يوم السبت وكان ذلك الأسبوع الأخير من حياتها فكان ذلك من بركة شهودي للمئوية، وهذا من عجيب الترتيب الرباني . فما زلنا نرى بركات فضيلة الشيخ الحبيب المستاوي حتى بعد موته جزاه الله عنا خير الجزاء ورفع مقامه مع الذين أنعم عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

ربانية الفكر وتزكية النفس:

قراءة في المنهج الروحي عند وحيد الدين خان والحبيب المستاوي

بقلم : الدكتور طارق سعد (طرابلس ـ ليبيا)

رغم بعد الشقة التي تفصل بين الهن د وتونس، ورغم اختلاف البيئة اللسانية والاجتماعية، يلتقي وحيد الدين خان والحبيب المستاوي عند نقطة مركزية واحدة: أن أزمة المسلم المعاصر ليست في نقص الشعائر ولا في غياب الشعارات، بل في فقدان «الروح» التي تمنح هذه الشعائر قيمتها.

إن الناظر في كتابات وحيد الدين خان، يدرك أن التزكية عنده ليست مجرد أوراد وتراتيل دينية، بل هي عملية «إعادة صياغة» للعقل البشري ليكون متوافقاً مع الفطرة الربانية؛ فالإنسان الرباني هو ذاك الذي استطاع تحويل الصدمات إلى خبرات، والمحن إلى منح، بالتحلى بالتقوى، ووفق منهج «الصبر الاستراتيجي». وهذا تماماً ما نلمحه في أدبيات الشيخ الحبيب المستاوي عبر مجلة «جوهر الإسلام»، حيث كان يرى أن أزمة المسلم المعاصر تكمن في انفصال عبادته عن مسلكه.

إن استعراض تجربة العالِمين الجليلين يقدم إجابة على سؤال ملح: كيف يمكن للدين أن يتحول من «شكل جاف» إلى «قوة روحية محركة»؟

فعند وحيد الدين خان.. الربانية بوصفها «ثورة ذهنية»، فهو يرى أن الربانية تبدأ من اليقظة الفكرية؛ فالروحانية عنده ليست غيبوبة عن الواقع، بل هي قمة الوعي. معتمدًا منهجاً يحول «المعلومات» إلى «تحققات»، تحويل المعلومات إلى تحققات يعني نقل الدين من «كتاب مسطور» إلى «واقع منظور» ومن «قناعة عقلية» إلى «قوة

روحية» تحرك النفس وتزكيها. وهذا هو جوهر «الربانية» عنده؛ أن تعيش الحقائق الإلهية كأنك تراها في كل تفاصيل حياتك. أنها عملية نقل الإيمان من حالة وراثية باردة إلى حالة يقينية حية. يصير فيها الكون «كتاباً مفتوحاً» دالاً على الله عبر التأمل العلمي والفكري في ملكوت السموات والأرض.

كما ينشد خان تزكية النفس عبر «التفكير الإيجابي»؛ فالتزكية عنده هي تنقية العقل من الأفكار السلبية (كالحقد، والانتقام، والتعصب) ليحل محلها السلام النفسي المنبثق من معرفة الله، حتى يصل العبد إلى «النفس المطمئنة» التي تعيش في سلام مع الخالق ومع الخلق، وهو ما يمكن تسميته «الروحانية القائمة على الفكر»، القائمة على البرهان والعقل لا على الوجد المجرد.

يمثل العلامة التونسي الحبيب المستاوي مدرسة تجمع بين العمق الزيتوني والانشغال بقضايا العصر، فالربانية عنده «استقامة اجتماعية»، وهي صمام الأمان للهوية. ولقد ربط المستاوي الربانية بـ «الأصالة والإصلاح»، بمسلك يركز على التربية الروحية والاجتماعية معاً؛ فالربانية ليست مجرد أوراد، بل هي تخلّق بأخلاق الله في معاملة الناس.

وقد شدد المستاوي على دور «المؤسسة» (كالجامع والزاوية) الإصلاحية في صياغة الفرد الرباني، ويرى أن تزكية النفس هي عملية «مجاهدة» مستمرة ضد الانزلاق نحو المادية الجارفة أو التفسخ القيمي، سعيًا لإيجاد «المسلم المتوازن» الذي يجمع بين صفاء الروح وفاعلية الدور في المجتمع، مع الحفاظ الصارم على الأصول الشرعية الثابتة.

التقاطع المعرفي والروحي : إن الربانية عند الرجلين هي خروج من ضيق «الأنا» إلى سعة «العبودية لله». وبينما يركز خان على الجانب المعرفي النفسي لإعادة صياغة العقل، يركز المستاوي على الجانب التربوي الاجتماعي لحماية الذات المسلمة.

ويمكننا ترجمة تصورات العالِمين عملياً بالقول: إن الربانية لا تتحقق إلا بكسر «الأنا» (**Ego**)، وتحويل المصاعب إلى غذاء روحي؛ فلا يتذمر المؤمن الرباني من المشاكل، بل يعتبرها «تحديات فكرية» تقربه من الله. الصلاة في هذا المنهج ليست مجرد حركات، بل هي حالة ذكر واتصال بـ «خالق الكون»، قال تعالى:

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، (سورة طه، الآية 14)، وحالة من «الدهشة المستمرة» من صنع الله، فيقول العباد: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ﴾، (سورة آل عمران، من الآية :191)، أما في البعد العملي، فالتزكية ليست خلوة في غار، بل هي نزول إلى السوق والتعامل مع الناس بصدق وأمانة ورحمة، بعيداً عن «الغلو» الذي يحرق الروح، و«التفريط» الذي يميتها.

في الختام، يظل وحيد الدين خان والحبيب المستاوي صوتين لنغمة واحدة، تدعو لرد الاعتبار للروح في عصر طغت فيه المادة. إن استعادة فكر المستاوي في مئويته، بجانب آفاق فكر خان، ضرورة عصرية لتقديم إسلام يتنفس بالسلام، يفكر بالمنطق، ويحيا بالربانية.

تعقيب: التعريف بالشيخ وحيد الدين خان:

ولد الشيخ وحيد الدين خان في الأول من يناير سنة 1925م، بمدينة (أعظم كره) في الهند، وتلقى تعليمه في مدرسة الإصلاح العربية الإسلامية. بدأ الشيخ تقديم حصيلة فكره بعد دراسات معمقة؛ حيث انتظم في البداية بسلك «لجنة التأليف» التابعة للجماعة الإسلامية في الهند لسنوات معدودة، ثم أمضى ثلاث سنوات مكباً على التأليف في «المجمع الإسلامي العلمي» التابع لندوة العلماء بـ (لكناؤ).

بعد ذلك، شغل منصب رئيس تحرير مجلة «الجمعية» الأسبوعية في (دلهي) عام 1967م لمدة سبع سنوات، إلى أن أغلقتها السلطات. وفي أكتوبر من عام 1976م، أصدر بصفة مستقلة عن كافة الهيئات مجلة «الرسالة»، التي دأبت على الصدور شهرياً حتى يومنا هذا، ونالت حظاً وافراً من النجاح والقبول.

ألف الشيخ وحيد الدين خان عدة مؤلفات هامة، نذكر منها على وجه الخصوص: (الإسلام يتحدى، الدين في مواجهة العلم، تجديد الدين، الإسلام والعصر الحديث، حكمة الدين، قضية البعث الإسلامي، الإنسان القرآني، وتفسير تذكير القرآن). وقد تُرجمت جميع هذه المؤلفات إلى اللغة العربية. ومن مؤلفاته المهمة التي لم تترجم بعد: (محمد رسول الثورة، ظهور الإسلام، والله أكبر)، بالإضافة إلى مؤلفات أخرى بلغت مائتي كتاب، وآلاف المقالات المنشورة وغير المنشورة.

كرّس الشيخ حياته من خلال مجلة «الرسالة» ومركز «السلام» التابع له لنشر فلسفة «اللاعنف» في الإسلام. كان يرى أن جوهر الرسالة الإسلامية يقوم على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، داعياً إلى الفصل بين السياسة والدين لتجنب الصراعات، مما جعله صوتاً عالمياً مرموقاً في محافل حوار الأديان والسلام الدولي. رحل الشيخ وحيد الدين خان عن عالمنا في 21 أبريل 2021م عن عمر ناهز 96 عاماً، مخلفاً وراءه إرثاً فكرياً ضخماً امتد لعقود.

كان أحد أبرز المفكرين الذين كرسوا حياتهم لمشروع «الرسالة الربانية»، وهو المشروع الذي استهدف تنقية الفكر الإسلامي من شوائب العنف وتوجيهه نحو «الدعوة السلمية».

نعاه كبار العلماء والمفكرين والمؤسسات الإسلامية والدولية، ووُصف بأنه «سفير السلام» الذي قدم الإسلام للعالم بلغة عصرية تجمع بين الروحانية والمنطق العلمي.

وقد انتبه الشيخ الحبيب المستاوي مبكراً لأهمية كتابه «الإسلام يتحدى» وأشاد به. حيث استطاع من خلاله تفكيك الخطاب الإلحادي والمادي باستخدام لغة العلم والمنطق. لم يكتفِ بالوعظ التقليدي، بل خاطب العقل الغربي والشباب المسلم المثقف بأدوات العصر، مما أعاد الثقة بجدوى العقيدة في ظل الطفرة العلمية. كما قامت مجلة «جوهرة الإسلام» -تحت رعاية الشيخ صلاح الدين المستاوي، مشكورةً ومأجورةً- بنشر عشرات المقالات للشيخ وحيد الدين خان، وتقديم بعض مؤلفاته إهداءً لقرائها الكرام.

الكتاب عشر مسائل ونوازل فقهية
واقعة في العصر الحديث داخل وخارج بلاد الإسلام

حررها بقلمه الشيخ صالح علي العود (مجاز في الشريعة الإسلامية) قدمها كل من الأساتذة عبد القادر عاشور ومحمد صلاح الدين المستاوي ومحمد بن عبد الوهاب ابياط والكتاب يقع في163 صفحة من الحجم الكبير.

«الشيخ الحبيب المستاوي أحد رجال الإصلاح في العصر الحديث»

بقلم المفتي عبد العزيز محمود بأري

الحمد لله الذي جعل العلماء ورثة الأنبياء، القائل في محكم كتابه المبين: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار وكل من سار على نهجه واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

الحضور الكرام أساتذتي وشيوخي الأكارم، الاخوة والأخوات أحييكم بتحية الإسلام تحية من عند الله مباركة وهي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إسمحو لي أن أسجلها شكرًا وتقديرًا وامتنانا بهذه الدولة المباركة على ما لقيناه من كرم الضيافة وحسن الاستقبال منذ أن وطأت أقدامنا تونس الحضراء.

أسجلها شكرًا أجزل وتقديرًا أجمل بهذه الهدية القيمة التي أعتز بها وسأظل أذكرها ألا وهي دعوتي للحضور في هذه الندوة المباركة مئوية شيخنا الجليل الحبيب المستاوي رحمة الله رحمة الأبرار والتي تفضل بها شيخي وأستاذي الجليل محمد صلاح الدين المستاوي نجل المرحوم بدعم مادي ومعنوي من طريق فخامة الشيخ صالح العود حفظهما الله تعالى وجعل الجنة مأواهما.

وأتشرف بأن ألقي على مسامعكم مداخلتي والتي هي بعنوان:

«الشيخ الحبيب المستاوي أحد رجال الاصلاح في العصر الحديث»

وإن الحديث عن هذا الموضوع الشيق ليقتضي مني الوقوف على ما يلي:

أولا : نشأته

هو الشيخ الفاضل والعالم النحرير والشاعر الموهوب الحبيب بن محمد بن أحمد المستاوي ولد في يوم 9 من شهر جانفي عام (1923م) الموافق لـ عام (1342هـ)، وذلك ببلدة الرقبة من ضواحي مدينة تطاوين، الواقعة بالجنوب الشرقي من البلاد التونسية.

وفيها نشأ نشأة طيبة تحت رعاية والديه الكريمين، وتربى في ظلهما على آداب البيئة العربية والأخلاق الإسلامية الفاضلة.

تخرج في جامع الزيتونة في عام (1951م) وكان مدرسا بالفرع الزيتوني بمدينة مدنين ثم مدينة قفصة، ثم تطاوين، وبعد الإستقلال أوفد من قبل الحكومة ضمن وفد رسمي رفيع المستوى من الشيوخ أو الأساتذة للقيام بالتدريس في بلاد ليبيا المجاورة لتونس، فكان أستاذًا بمعهد أحمد باشا، كما قام بإلقاء دروس ومواعظ في مساجد عاصمتها طرابلس كما أتيحت له فرصة تقديم أحاديث إذاعية في الرّاديو المحلي.

وبعد عودته من ليبيا، إنْتُدِب في عام 1962م للتدريس بـ الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بالعاصمة تونس، ثم أُتْبِعُها بـ الأكاديمية العسكرية فيها، وفي عام 1962م أُتِيح للشيخ مجال آخر هام ومهم: وهو تقديم حصص أسبوعية في الإذاعة الوطنية، بدأها بحديث الصباح، وأعقبها بحصص أخرى في تفسير آيات من الذكر الحكيم، ظُهر كل يوم جمعة، وقد ظل في إعداد وتقديم أحاديثه المتميزة لأكثر من عشر سنين.

وفي عام 1966م باشر الشيخ المستاوي: الخطابة والإمامة والتدريس بجامع مقرين حيث مقرِّ إقامته وسكناه، فضلا عن المشاركة بإلقاء الدروس في مساجد أخرى بوسط مدينة تونس العاصمة مثل: جامع الزيتونة، وجامع سبخان الله، وجامع الزراعية وغيرها.

وهو رجل متواضع للغاية وربما هو سبب ارتقائه في العلم والمعرفة كما قال الإمام الشافعي رحمه الله:

إذا زاد علم المرء زاد تواضعا وإن زاد جهل المرء زاد ترفعا
ففي الغصن من حمل الثمار مثاله وإن يعر من حمل الثمار ترفعا

ويقول ﷺ: «من تواضع لله رفعه».

ثانيا – ومن جهوده الإصلاحية: إصداره مجلة جوهر الإسلام

تعد مجلة جوهر الإسلام منارة فكرية ودينية بارزة تهدف إلى ترسيخ القيم الإسلامية السامية ونشر الوعي الإسلامي الصحيح ومحاربة العنف والتطرف وتعزيز الهوية الإسلامية بأسلوب هادف ووسطي.

يقول فضيلة الشيخ صالح العود في كتابه تعريف الأنام بصاحب مجلة جوهر الإسلام: « في عام 1388هـ - 1968م قام الشيخ بأعظم أعماله، وأجل جهوده الدعوية على الصعيدين: الداخلي والخارجي سواء في المجال العلمي، أو الفكري أو الثقافي بإصداره مجلة فاخرة سماها: (**جوهر الإسلام**) سرعان ما تألقت واستقطبت الكُتّاب ورجال العلم والفكر من عدة أقطار مثل عملاق الفكر: أنور الجندي، والداعية الصامد محمد حميد الله، والشاعر الموهوب: عمر بهاء الدين الأميري، ومن علماء تونس الأخيار: الشاذلي النيفر والطاهر بن عاشور، والبشير العريبي، ومحمد الفاضل بن عاشور..... إلخ.

وإليك أجلّ مرامي ومقاصد المجلة: **جوهر الإسلام** الغراء، كما أرادها مؤسسها:

- بث الوعي واستنهاض الهمم، إلى معرفة الإسلام النقي.
- دعوة المسلمين إلى التمسك بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ.
- إبراز حقائق الإسلام، وأنه صالح لكل زمان ومكان.

لقد وُلدتْ المجلة مكتملة الأركان، وحققت منذ إنبلاج فجرها، نجاحا وقبولا منقطعي النظير فهي تعبير عن أصالة هذه الأمة، وتمكن رسوخ الإسلام منها.....

وهكذا ظلت مجلة **جوهر الإسلام** تصدر في حياة صاحبها تحت إشرافه، وبرعايته مدة سبع سنوات متواصلات، ولما توفي الشيخ خلفه وواصل مسيرتها: إدارةً وإشرافًا وعنايةً نجله البار: الأستاذ محمد صلاح الدين حفظه الله وأمتع به وبجهوده.

ثالثا : تثقيف الداعية

لا شك أن الدعوة إلى الله تعالى هي أجل الأعمال وأشرفها وأفضل الوظائف وأكملها. قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ وقوله: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾

لذلك قام الشيخ **الحبيب المستاوي** بتثقيف الداعية إلى الله بثقافة إسلامية نقية ومهارات دعوية عصرية ونبذ العنف والتطرف وتكفير أهل القبلة. يقول في فاتحة كتابه من وحي الإسلام: (... وإننا لموقنون بأن الدعوة إلى الله في عصر اختلفت فيه السبل وتشعبت المسالك وطغت الاعتبارات المادية على كل ما سواها لا يمكن أن تثمر إلا متى ما أرجعت إلى أصلها الذي منه انطلقت وعليه ارتكزت، فخليق بها أن لا تستند إلا على عمادها الحقيقي الذي هو الإيمان الصامد والثقة الوطيدة والأسلوب الواضح الرصين، وجدير بها أن لا تستهدف إلا غايتها الوحيدة التي هي نصرة الحق بالحق، ورد مفتريات المرجفين ودعاوى المبطلين، حتى تنفتح البصائر وتستيقظ الضمائر لتسمو إلى إدراك الجوهر الإسلامي النقي لأنه الفطرة السليمة والمحجة البيضاء الواضحة، فلا يكلف الداعين إليه بشيء سوى إزاحة الحجب عن حقائقه وأسراره، لترى العيون محياه الصبوح من غير نقاب. ثم يقولوا بعد ذلك إن شاءوا: ﴿**فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ**﴾

وهذا دليل واضح على أن الشيخ هو مصلح حقيقي لأن المصلح الحقيقي هو الذي يقوم بإصلاح الدعاة إلى الله لأنهم هم القدوة إذا صلحوا أصلحوا الناس وإذا فسدوا أفسدوا الناس، فهم بمثابة قلب الإنسان في جسده. كما قال الحبيب المصطفى ﷺ: (**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**)

وفي الختام أجدد لمؤسسة الحبيب المستاوي للبحوث والدراسات العلمية والتكوين الشكر الجزيل وكل من ساهم في إثراء هذه الندوة المباركة.

الحبيب المستاوي: نموذج للمثقف الملتزم

Habib El Mestaoui : un modèle d'intellectuel engagé

بقلم الدكتور موسى كوناتي ساحل العاج (كوتديفوار)

Habib Mestaoui est l'un des figures culturelles tunisiennes, dont le nom est synonyme à l›engagement intellectuel, littéraire et civique. Il ne s'est pas limité à la production de savoir ni à la simple réflexion littéraire ou critique de textes. Mais plutôt, un acteur social qui porte les préoccupations de sa société et fait de la culture un outil d'éveil, de construction de la conscience et de la défense des valeurs islamiques et humanitaires.

مقدمة

يمثّل الحبيب المستاوي إحدى الشخصيات الثقافية التونسية التي اقترن اسمها بفكرة «الالتزام» في الفكر والأدب والعمل العام. فالمثقف الملتزم، في تصوّرنا، ليس مجرد منتج للمعرفة أو ناقدٍ للنصوص، بل فاعل اجتماعي يحمل هموم مجتمعه، ويجعل من الثقافة أداة للتنوير، وبناء الوعي، والدفاع عن القيم ألإسلامية والإنسانية معا.

أولاً: مفهوم الالتزام الثقافي عند المستاوي

يرى الحبيب المستاوي أن الالتزام لا يعني الانحياز الإيديولوجي الضيق، بل هو انحياز للإنسانية والحرية والعدالة. فالثقافة، في نظره، رسالة ومسؤولية، وعلى المثقف أن يكون صوتًا للضمير الجماعي، يستشعر هموم المجتمع ويواكب الواقع، وينتقد الاستبداد، ويكشف مظاهر التهميش والإقصاء.

ثانياً: الحضور الفكري والأدبي

تميّز المستاوي بكتاباته التي تجمع بين العمق الفكري والوضوح الأسلوبي، حيث سعى إلى تقريب القضايا الفلسفية والفكرية من القارئ العام دون تفريط في الرصانة

العلمية. وقد تناول في نصوصه موضوعات الهوية، والحداثة، والعلاقة بين التراث والمعاصرة، ودور المثقف في زمن التحولات السياسية والاجتماعية.

ثالثاً: المثقف والفضاء العام

لم يكتفِ الحبيب المستاوي بالكتابة الأكاديمية أو الأدبية، بل حرص على الحضور في الفضاء العام عبر الندوات والحوارات الثقافية والإعلامية. وكان يرى أن دور المثقف يكتمل حين ينفتح على المجتمع، ويشارك في النقاش العمومي، ويسهم في صياغة رأي عام واعٍ ومسؤول.

كما يؤمن بازدواجية الدين والدنيا وأن الإفراط في جانب دون الآخر يحدث خللا في الكيان الإنساني ويعطل الأهداف التي خلق الله الإنسان من أجله وهي العبادة وعمارة الأرض على أكمل وجه، ويشير إلى ذلك مقولته: «هذا الدين لم يقسم الناس أبدا إلى قسمين، رجالا دنيا ورجال دين، بل جعل كل شخص ذكرا كان أو أنثى هو ديني ودنيوي في آن واحد. ثم يقول ولما قسمنا أنفسنا من بعدهم شطرين هذا رجل دين له لباس خاص وسمة خاصة وحياة خاصة، لا يصلح إلا للدين فقط، وهذا رجل دنيا يأخذ ها بكل لون ومن كل وجه.. ..... حلّ بمجتمعنا ما حلّ به مما جعله يشعر دائما بالحاجة إلى ذلك الالتحام والامتزاج الذي أراده الله للدين والدنيا معا». جوهر الإسلام عدد1/ 2 السنة 1444هـ/ 2025، ص 56.

رابعاً: القيم الإنسانية في مشروعه الثقافي

تتجلى في مشروع الحبيب المستاوي الثقافي قيم الحوار والتسامح واحترام التعددية الفكرية. فقد دعا إلى ثقافة الاختلاف البنّاء، وإلى تجاوز الانغلاق الإيديولوجي لصالح رؤية إنسانية شاملة تُعلي من كرامة الإنسان وتؤكد حقه في التعبير والاختيار.

فقد حقق عديدا من الإنجازات ما يخلد له ذكره ويحقّ الله الثناء الحسن والوفاء لدينه منها على سبيل الايجاز لا الحصر: المشاركة في تأسيس المدارس التنويرية أعني الحوزات للتحفيظ القرآن الكريم التي تجاوز عددها في أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات ما يقارب 700 كُتاب عصري في كامل ولايات الجمهورية. جوهر الإسلام، العدد ½ السنة 1447هـ، ص 68.

حتى ينمو الطفل على مبادئ الدين ويرسخ ذهنه على أجمل الكلمات وأعزها وهي الآيات القرآنية بها ينير فكره وذهنه من الشوائب كما يقول أبو زيد القيرواني « التعليم الشي في الصغر كالنقش في الحجر» بناء على فكرة أبي زيد القيرواني: أن

خير القلوب أوعاها للخير وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشرّ إليه. وقد فهم هذه الفكرة بعمق ولذا ضحّى بكل غال من أجل إنشاء المدارس القرآنية حفاظا على روح الدين وتأصليه في نفوس النشء، وأسس مجلة جوهر الإسلام التي صمدت إلى حد الآن منذ 58 عاما من إنشا ئه (1968).

جوهر الإسلام السنة 23 عدد 9/ 10 ص173.

خامسا: السعي نحو الإصلاح:

وقد سعى سعيا دؤوبا نحو الإصلاح، بناء على توطيد الفكرة الإصلاحية التي تربى في ربوعها على يدي شيخيه وأستاذيه: الشيخ المصلح طاهر بن عاشور والشيخ محمد الفاضل بن عاشور وقد حمل كليهما روح الإصلاح المعاصر في تونس وخارجها من خلال مؤلفاتهم العديدة في إطار الإصلاح والانفتاح. وقد اختار الشيخ الحبيب المستاوي المهن أو الوظائف المناسبة لتأجيج هذا المبدأ يعني التدريس والخطابة والوعظ والإرشاد وإلقاء المحاضرات وعقد الندوات العلمية بالوسائل المتنوعة: المكتوبة والمرئية والمسموعة من حيث البرامج التلفزيونية والإذاعية، إضافة إلى العمل في الحقل الاجتماعي والسياسي والنقابي حيث عاصر مرحلة الكفاح ضد الاستعمار ثم مرحلة بناء الدولة. جوهر الإسلام. السنة 23 العدد9/ 10 ص 50.

ولم يحمل الجانب الأصعب في الحياة قديما وحديثا وهو السعي لإصلاح القيم الإنسانية الأساسية: المساواة والعدل والعمل والعلم: كما ورد في أحد منظومته الشعرية:

وما اللون والأجناس إلا عـــوارض	فأفضل خلق الله ذو العقل واليد
وأقربهم إلى الله من كان نفعـــــــه	عميما ولم يخلط بغاية مفسد
على هذه الأهداف عاشت جدودنا	فظلت تسوس الكون دون مهنّد
وبالعلم والإبداع والخلق أخصبت	عقول بني الإسلام في فجرنا الندى

وقد ضحى بنفسه في سبيل ذلك ولم يخف لومة لائم ولم ينتظر منها جزاء ولا شكورا من أي كائن كان إلا بغية لمرضاة الله سبحانه وتعالى رغم علمه بوعورة الطريق والصعوبة المسلك وكثرة العراقيل التي قد تهدد مصالحه الدنيوية وتمنعه من العيش الرغد سمته سمة كل مضح في سبيل خدمة الدين إلا أنه أبى إلا أن يعيش عزيز النفس مرتاح البال مؤمن بالقدر الإلهي ومطمئن بالمآل وراض بملاقاة الله عزوجل وهو يحسب من الشهداء والصالحين والصدقين ونحسن له الظن أنه لقي ربه وهو نائل منيته.

ولذا نلاحظ في الشيخ الحبيب المستاوي الصبر والتحمل حيث كان لديه الاستعداد التام والإيمان الراسخ لما ينتظره في الطريق الذي سلكه من نكبات وعراقيل ومشاكل وهو بذلك يعتبر من قلة الناس وخيرتهم وصفوتهم، تصديقا لقوله تعالى» **أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنونّ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**» العنكبوت آية 3،2.

وهو بذلك استحق أن يكون ممن قال الله فيهم (**وتركنا عليه ثناء في الأخرين**) سورة الصافات أية و/ 108 ـ 119.،و129 ما بعدها. قال هذا في حق سيدنا إبراهيم وموسى وإلياس وغيرهم. لم يخلد ذكرهم إلا لما تلقوه من مشقات وصعوبات من أجل تثبيت المبدأ الإلهي في الكون وهي سنة الله في الأرض ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولذا كل عالم على وعي بما ينتظر من يسلك مثل هذا المسلك الوعر. رغم كل ذلك عمل مجاهدا في سبيل الحق ونصرة الدين حتي تحقق فيه قوله تعالى : « (**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**) التوبة 105، وهذا اللقاء تحقيق لهذه الآية الكريمة وغيرها بحيث شيخنا الحبيب لم يطلب من أحد منا فيما أظن أن تقام مناسبات الذكرى له إذا انتقل إلى رحمة ربه، بل الله نفسه هو الذي أخذ ذكر جدنا عن طريق أبينا الحنون الشيخ صلاح الدين المستاوي وغيره وحفزهم إلى إحياء هذه المناسبات تنبيها للأحياء متا إلى القيام بقدر الإمكان بتقليد هؤلاء المشايخ الكرام في سعيهم وتفانيهم في خدمة الدين والإنسانية: (**كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين**). الصفات 110ـ111.

خاتمة

كان الحبيب المستاوي نموذجًا للمثقف الملتزم الذي يزاوج بين الفكر والممارسة، وبين المعرفة والمسؤولية الاجتماعية. فهو مثال على أن الثقافة ليست ترفًا فكريًا، بل قوة فاعلة في بناء الإنسان والمجتمع، وجسر يربط بين الماضي والحاضر من أجل مستقبل أكثر وعيًا وعدلاً. تتجلى في مشروعه الثقافي قيم الحوار والتسامح واحترام التعددية الفكرية. فقد دعا إلى ثقافة الاختلاف البنّاء، وإلى تجاوز الانغلاق الإيديولوجي لصالح رؤية إنسانية شاملة تُعلي من كرامة الإنسان وتؤكد حقه في التعبير والاختيار. من خلال العدل والمساواة. فقضى حياته رحمه الله في العمل الجاد من أجل خدمة الدين وتوجيه الناس وإرشادهم إلى ما فيه رضا الله بالنصح بالرفق والحكمة والموعظة الحسنة، فجزاه الله عنا وعن الأمة خير الجزاء

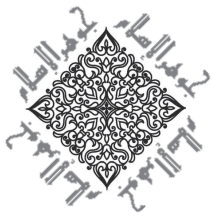

جامع الزيتونة والحرمين

بقلم الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان ـ مكة المكرمة

لم تنقطع رحلة الفقهاء التونسيين إلى الحرمين الشريفين بعد جيل الرائدين السابقين بل واصلوا الرحلة إليهما، والتلقي والأخذ عن علمائهما، فأسهموا إسهاماً ن كبيراً في نشر مذهب أهل المدينة، وأذاعوه في تونس وإفريقيا، وكان علماء الجامع ج الأعظم جامع الزيتونة وفقهاؤه قد احتضنوا التدريس فيه، وكان من أعظم هؤلاء تأثيراً وجهاداً :

*** الإمام أبو سعيد، سحنون بن سعيد التنوخي: المتوفى سنة أربعين ومائتين.**

أخذ سحنون العلم بالقيروان عن مشايخها أبى خارجة، وبهلول، وعلي بن زياد، وابن أبى حسان، وابن غانم، وابن أشرس، وابن أبى كريمة، وأخيه حبيب، ومعاوية الصمادحى، وأبى زياد الرعينى، ورحل في طلب العلم أول سنة ثمانية وثمانين ومائة... وكانت رحلته إلى ابن زياد بتونس وقت رحلة ابن بكير إلى مالك...

ذكر أن البهلول بن راشد كتب إلى علي بن زياد أن يسمع سحنون، وقال له: إنما كتبت إليك في رجل يطلب العلم لله..) (30) 30 – القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج4، ص46،47.

(قال أبو العرب: كان جامعاً للعلم، فقيه البدن، اجتمعت فيه خلال ما اجتمعت 14 غيره: الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا والتخشن في الملبس والمطعم، والسماحة، والترك، لا يقبل من السلطان شيئاً ...

وكان أول من شرد أهل الأهواء من المسجد الجامع، وكانوا فيه حلقاً للصفرية. والإباضية مظهرين لزيغهم، وكان حافظاً للعلم، ولم يكن يهاب سلطاناً في حق يقيمه) قصد الحرمين الشريفين حاجاً وكان قد زامل ابن وهب، يتحدث سحنون رحم الله عما كان يدور مع ابن وهب، ومن رافقه من الفقهاء والمحدثين:

لما حججت كنت أزامل ابن وهب، وكان أشهب يزامله يتيمه، وابن القاسم يزامله ابنه موسى، وكنت إذا نزلت سألت ابن القاسم، وكنا نمشى بالنهار ونلقى المسائل.

فإذا كان الليل قام كل أحد إلى حزبه من الصلاة، فيقول ابن وهب: ألا ترون هذا المغربي

يلقى بالنهار، ولا يدرس بالليل؟ فيقول ابن القاسم: هو نور يجعله الله في القلوب..

سمع في رحلته إلى مصر والحجاز من: ابن القاسم، وابن وهب، وأشهب، وطليب بن كامل، وعبد الله بن عبد الحكم، وشعيب بن الليث، ويوسف بن عمرو، وسفيان بن عيينة، ووكيع، وعبد الرحمن بن مهدي، وحفص بن غياث، وأبى داود الطيالسي، ويزيد بن هارون، والوليد بن مسلم، وابن نافع الصائغ، ومعن ابن عيسى، وأبى ضمرة، وابن الماجشون، ومطرف وغيرهم.

لقي أصحاب مالك وسفيان الثوري..) (233)

كان لجهوده أعظم الأثر في نشر المذهب المالكي في أفريقية، تأتي هذه الجهود مكملة مسيرة الفقهاء من الرعيل الأول الرائد.

(قال محمد بن حارث: كانت افريقية قبل رحلة سحنون قد غمرها مذهب مالك ابن أنس ؛ لأنه رحل منها أكثر من ثلاثين رجلاً، كلهم لقي مالك بن أنس، وسفر منه، وإن كان الفقه والفتيا إنما كانا في قليل منهم، كما ذلك في علماء البلاد، ثم قدم سحنون بذلك المذهب، واجتمع له مع ذلك فضل الدين والعقل، والورع، والعفاف والانقباض، فبارك الله فيه للمسلمين، فمالت إليه الوجوه، وأحبته القلوب، وصار زمانه كأنه مبتدأ، قد امحى ما قبله، فكان أصحابه سرج أهل القيروان، فرأيته عالمها وأكثرها تأليفا، وابن عبدوس فقيها، وابن غانم عاقلها، وابن عمر حافظها، وجلبة زاهدها، وحمديس أصلبهم في السنة وأعداهم للبدعة، وسعيد بن حداد لسانها وفصيحها، وابن مسكين أرواهم للكتب والحديث، وأشدهم وقاراً وتصاوناً، كل هذه الصفات مقصورة على وقتهم..) (33) (كنت أول طلبى إذا انغلقت عليّ مسألة من الفقه آتى ابن أبى حسان، فكأنما في يده مفتاح لما انغلق..) (34)

* محمد بن رشيد مولى عبد السلام بن الفرج الربعي العابد المتوفى سنة اثنين ومائتين.

«كانت رحلته ورحلة سحنون إلى الحجاز وإلى ابن القاسم إلى مصر واحدة، وكان سماعهما واحداً، وإنما فاته سحنون برجال الشام ؛ لأنه رحل إليها دونه.

قال ابن سحنون: كان فقيهاً نبيهاً، طويل اللسان، حسن البيان. قال غيره: كان من أهل العلم والفقة ثقة في نقله» (35).

*** محمد بن سحنون المتوفى سنة ست وخمسين ومائتين:**

(قال ابن حارث: كان عالماً فقيهاً، مبرزاً متصرفاً في الفقه والنظر، ومعرفة اختلاف الناس، والرد على أهل الأهواء، والذب عن مذهب مالك، وكان فد فتح له باب التأليف، وجلس مجلس أبيه بعد موته)

رحل إلى المشرق سنة خمس وثلاثين ومائتين فلقي جماعة من العلماء منهم أبو المصعب الزهري صاحب مالك، ويعقوب بن حميد بن كاسب، وسلمة بن شبيب وغيرهم.

(27) إن الدارس للعلاقة بين الحرمين الشريفين وجامع الزيتونة يجد أمامه كماً كبيراً من

المعلومات المفيدة، وعدداً كثير من العلماء الفقهاء من جامع الزيتونة شيوخاً وتلاميذ، ذوى شأن كبير وصيت ذائع في الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية بعد فقهاء الجبلين السابقين أمثال:

شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي التونسي، والعلامة الفقيه المبجل محمد ابن محمد عرفه الورغمي وغيرهم، كانوا جسور هذه العلاقات في إقامة مؤقتة، أو جوار دائم، تهيأت لهم ولأبناء الحرمين الشريفين وعلمائهما، وعلماء الأمة الإسلامية المجاورين لقاءات فكرية لا تتوافر في بلد سواهما، ذات طابع ونكهة روحية قدسية، ومما يلفت النظر أن توثيق القراءة، أو السماع، أو الدرس مرتبط بمكان معين من الحرمين الشريفين له قدسية خاصة فيذكر بأنه تم: (بمكة شرفها الله تبارك) (تجاه الكعبة المشرفة) ، (تجاه الكعبة المعظمة) (بمسجد المدينة المنورة) «قرأته (الملخص للإمام أبى الحسن القابسي) بمدينة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم».

تحرى العلماء، والفقهاء التونسيون ، علماء الجامع الأعظم الزيتونة تعيين هذه الأماكن وتحديدها بمثل تلك النصوص والعبارات لما لها من وقع نفسي، وإيقاع روحي، واستمطار للبركات، وتنزل للرحمات، ليس بخاف تأثيرها الكبير على القارئ والسامع الذي يدرك بعدها الروحي، نجد لهذا أمثلة عديدة وكثيرة في كل قرن.

ومما هو جدير بالتنويه وحري بالذكر أنه في بعض القرون تولى علماء الزيتونة المجاورون مناصب دينية رفيعة في الحرمين الشريفين، كما تولى بعضهم التدريس، وواظلب عليه لنفع المسلمين إسهاماً في تنشيط الحركة العلمية فيهما، ومنهم من كان شيخ التخرج لبعض كبار علماء مكة المكرمة، تتضح هذه الفاعلية لعلماء الجامع الأعظم الزيتونة من خلال النماذج المختارة من التراجم لهذه النخبة في القرون التالية:

في القرن السادس الهجري:

عمر بن عبد المجيد بن عمر بن حسين القرشي العبدري المعروف بالميَّانشي (ت 581) ه: (نزيل مكة وشيخها وخطيبها).

في القرن الثامن الهجري:

الإمام المحدث شيخ الحرم: عثمان بن محمد بن عثمان بن أبى بكر فخر الدين التوزري (ت 713). (ص 51 – 50)

في القرن التاسع الهجري:

محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسي المعروف بالوانوغي (ت 819) ه.

في القرن السادس :

* نزيل مكة، وشيخها، وخطيبها: عمر بن عبد المجيد بن عمر بن حسين القرشي العبدري تقي الدين أبو حفص، المعروف بالميَّانشي نسبة إلى ميانش (بالفتح وتشديد

الثاني، وبعد الألف نون مكسورة وشين قبل الياء) قرية صغيرة من قرى المهدية بالساحل التونسي (ت 581) هـ (28).

يترجم له عالم مكة المكرمة ومؤرخها تقي الدين محمد بن محمد الحسني الفاسي المكي قائلاً: «نزيل مكة، وشيخها وخطيبها.. سمع من أبى عبد الله محمد بن على بن عمر المازري كتابه: (المعلم بفوائد مسلم) ، وبمكة من أبى العباس أحمد بن معد ابن الإقليشي كتابيه: (النجم) و (الكواكب) ، ومن أبى القاسم الكروخي (جامع الترمذي) ومن أبي المظفر محمد بن على الشيباني الطبري قاض مكة..

ذكره منصور بن سَليم في (تاريخ الإسكندرية)، وقال المالكي: وترجمه بالفقيه، وذكر من تواليفه: (المجالس المكية)، و (إيضاح مالا يسع جهله) ، وكتاب (الروضة في الرقائق) . وذكر أنه حدث بمصر، وبمكة، وصار خطيباً بها، وكان عالماً، ورعاً.

ثقة، أخذ عنه العلم خلق كثير ..،(30)

في القرن السابع:

* أبو القاسم بن أبى بكر بن مسافر بن أبى بكر بن أحمد بن عبد الرفيع الشهير (كان إماماً عالماً ذا فضل ودين، حسن الخلق والخُلق، قاضى الجماعة بتونس.

بابن زيتون (ت 691هـ) :

الفقيه الأصولي، الملقب تقي الدين، ويكنى أبا الفضل.

ولي قضاء تونس مرتين...، ورحل إلى المشرق رحلتين:

الأولى: في سنة ثمان وأربعين وستمائة.... وحج، ورجع إلى تونس بعلم كثير، ورواية واسعة، ثم رحل ثانية سنة ست وخمسين فأقام بالقاهرة.. ثم حج ورجع إلى تونس فولي بها قضاء القضاة، وعظم محله، ونبل قدره، وانتفع الناس به، وكان إليه المفزع في الفتيا بتونس، وهو أول من أظهر تآليف فخر الدين ابن الخطيب الأصولية بإقرائه إياها بمدينة تونس...، وكان مجلسه يغص بصدور طلاب العلم، وكان مهيباً وقوراً) (10)

في القرن الثامن:

الإمام المحدث شيخ الحرم عثمان بن محمد بن عثمان بن أبى بكر فخر الدين (713 هـ) :

من أبناء توزر وبها ولد سنة 630، وقرأ على والده، ثم انتقل إلى مدينة تونس، ودرس) على علمائها، وأقرأ بها. ثم رحل إلى مصر ي طلب الحديث، فسمع من ابن الجميزي وغيره، وأكثر عن المنذري، وابن عزون حتى بلغت مشيخته نحو الألف شيخ، وله إجازات كثيرة منهم. وكان سماعة للحديث من كبار الحفاظ

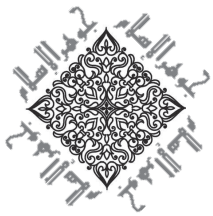

من فوائد المحظرة

بقلم الشريف محمد بن سيد أحمد صلاحي العباسي موريتانيا

نص العلماء على تقديم الأهم فالأهم قال بعضهم:

وقـدِّم الأهـمَّ إن العـلـم جـم والعمر طيف زار أو ضيف ألم
أهـمـه عـقـائـدٌ، ثـم فـروع تـصـوفٌ، وآلة بـها الشُّـروع.

ومن هذا المنطلق سنبدأ بفوائدَ من باب الطهارة لأهميتها وتوقف صحة الصلاة عليها.

إعلم أيها القارئ الكريم أن الماء على ثلاثة أقسام:

1) طاهر مطهِّر 2) طاهر غير مطهِّر 3) غير طاهر وغير مطهِّر

الأول: هو الماء المطلق يصلح للعادة والعبادة.

الثاني: هو الذي تغير بطاهر كاللبن مثلا يصلح للعادة فقط.

الثالث: هو الذي تغير بالنجاسة لا يصلح للعادة ولا للعبادة

وقد حد بن عرفة المطلق فقال:

هو الماء الباقي على أوصاف خلقته غير مستخرج من نبات ولا حيوان.

ويذكر أهل العلم في جمع النظائر: أن السنة أفضل من الواجب، في ثلاثة مواضع:

1) الوضوء قبل دخول الوقت لأنه إذا دخل الوقت يكون واجبا.

2) سلام التحية لأنه سنة، ورده واجب.

3) إبراء المعسر أفضل من الانتظار الذي هو واجب.

قال الحافظ جلال الدين السيوطي(ت 911 هـ):

وأفضل المياه ماء قد نبـع بين أصابـع النبـي المتـبـع

يليه زمزم فماء الكوثر فنيلُ مصر ثم باقي الانهر

قال الشيخ محمد سالم بن ألما اليدالي الشنقيطي (ت 1383هـ)

تغير الماء بدهن مثلا إصلاح قربة لها قد جعلا
هل لا يضر مطلقا أو مطلقا يضر والتفصيل بعض حققا
ما ظهر التغيير فيه ضرا وغير ما ظهر لن يضرا
فلابن زرقون عزي الأول والثاني لابن الحاج فيما نقلوا
ولابن رشد آخر الأقوال أصحها بحسب الأنقال

قال الشريف الشيخ على الرضى بن محمد ناجي الصعيدي الشنقيطي:

الحي بالطهر موصوم ولو كانا إذ ذاك كلبا وخنزيرا وشيطانا
وكان بالكفر يدعى والدسوقي روى في الحي ذاك الذي بينت تبيانا

قال الشيخ أحمد فال اليعقوبي الموسوي (ت.؟؟ 12هـ)

يوخذ من ركوب سيد الورى مندوبا، اشياءُ ثمان تقترى
طهارة العرق والنسال جواز غاية لدى المقال
بدو فخذ مع من كالخاصة كذا ركوبنا بلا بردعة
تبليغنا المركوب ما يطيق كلام أجنبية يليق
من دون ريبة تكون ثما كذا تعديبنا لأمر عما

قال الشيخ محمد بن حمين اليدالي:

وما إلى موضع ذبح ينتمي فنجس بالاتفاق من دم
وما إلى الجوف على المشهور بعكس ما في اللحم والصدور

قال الشيخ عبد الله بن محمد سالم المجلسي:

منافعنا بالنجس عشر نعدها فلا تعذلن من زاد نزرا على العد
فأولها جلد لميت ولحمه لكلب وإرصاد حكاه أولو الرشد
وبالوعة شحم السباع ودهنها لساقية سقي الزروع بلا جحد
كذلك طفي النار خمر لغصة وقود عظام الميت تصفية النقد.

تقبلوا تحيات نقيب الأشراف العباسيين في موريتانيا محمدن بن سيد أحمد صلاحي.

الهجرة النبوية دروس وعِبَر

الحمد لله الذي نصر عبده واعز جنده وهزم الأحزاب وحده نحمده سبحانه على ما أفاء وأنعم وسدد ووفق

ونشهد أن لا اله الا الله الذي وسعت رحمته سائر المخلوقات بكل الافاق.

ونشهد أنّ سيّدنا محمدا عبده ورسوله ومصطفاه أخرج الله ببعثته العباد من عبادة الأصنام والأوثان إلى عبادة الله الواحد الأحد الذي ليس كمثله شيء أدّى الرسالة وبلغ الأمانة وصبر وصابر ورابط وتحمل من الأذى ما لو تسلط على سواه لو هن ولبدل وغير ولكنه عليه الصلاة والسلام مضى في أداء رسالته بكل عزيمة ومثابرة وإصرار، متحملاً ما ناله، متيقناً أنه على الحق، وعلى المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك.

فاللهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، عليهم رضوان الله، صلاةً لا تُملّ وليس لها عد ولاحدّ يتضاعف أجرها على الممتثل لأمر ربه القائل في كتابه العزيز: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾.

وأوصيكم عباد الله المسلمين بما أوصى به نفسي: تقوى الله فإنها خير ما يتزوّد به المؤمن في رحلته ومصيره إلى ربه ورجوعه إليه. ﴿**إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى**﴾، ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ**﴾.

أما بعد، أيها المسلمون، فلا يزال حديثنا موصولاً في بيان حكم وعبر ودروس الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة في بداية هذا الشهر المبارك، شهر محرّم من العام الهجري (**السابع والأربعين بعد الاربعمئة الألف**).

محطةٌ جديرةٌ بالوقوف عندها لاستحضار جوانب من السيرة النبوية العطرة التي يختزلها الكثيرون في غزوة بدر وأُحد والخندق وغيرها. وكم استغرقت هذه الغزوات من عمر الدعوة المحمدية التي امتدت إلى ثلاث وعشرين سنة؛ ثلاثة عشر في مكة بدأت من غار حراء الذي شهد إعلان البعثة المحمدية، وانتهت إلى غار ثور منطلق الهجرة إلى المدينة المنورة، التي منها ستبدأ بعد ذلك مرحلة جديدة امتدت لعشر سنوات انتهت بالإعلان عن كمال الدين وتمامه في حجة الوداع.

لينتقل رسول الله ﷺ بعدها إلى جوار ربه بعد أن نزل عليه قول ربه:
﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾.

أسلفنا القول في الخطبة السابقة، أن رسول الله ﷺ كان يعلم أنه مهاجر من مكة الى مكان وزمان لا يعلمهما إلا الله. ولأجل ذلك انطلق في اداءما أمر بالقيام به وهو تبليغ دين الله للناس كافة، بدأ بالأقارب: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ صابرا على كل ما يصدر عنهم من أذى وتلك سنة الله في خلقه: ظلم وإعراض ونكران للجميل «وظلم ذوي القربى أشد مضاضة من وقع الحسام المهند».

لم يزده كل ماتسلط عليه إلا عزيمةً وإصرارا لم يلابسه معهما الخضوع والتراجع عن أداء ما أمره الله به.

وقال قولته الشهيرة: «**والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه**».

وكذلك ينبغي أن يكون المسلم في ثبات عقيدته وتمسكه بدينه مهما كانت المغريات، ومهما كانت التهديدات ما دام يبتغي من كل ذلك وجه الله تعالى، لاينتظر على عمله من أحد جزاءً ولا شكوراً.

ومن دروس الهجرة ما ما لقيه أصحاب رسول الله من عذاب قريش في الفترة المكية من تعذيب وتنكيل الامر الذي دفع رسول الله ﷺ الى البحث لهم عن ملاذ يأمنون به على أنفسهم وكان ذلك في الحبشة حيث النجاشي الملك العادل الذي لا يظلم عنده احد فكانت الهجرة الاولى والثانية اليها وكانت البيعة الاولى والثانية اغتناما لمقدم الحجيج الى مكة لاهل يثرب الذين نالهم هذا الشرف والذين بايعوه على نصرته، إن هو هاجر إلى اليهم.

وقد أرسل رسول الله ﷺ أصحابه تباعًا حتى أنه لم يبقَ في المدينة بيتٌ إلا ودخله الإسلام، إما بإسلام كل أهل البيت، أو أغلبهم، أو أحدهم وأرسل معهم صاحبه مصعب ابن عمير يعلمهم دينهم.

كذلك من دروس الهجرة، وقبل الانتقال إلى المدينة، دعوته عليه الصلاة والسلام أهل الطائف الذين قابل أذاهم وما أتوه مما هو غير معتاد من العرب بالعفو والصفح مرددا قوله «**اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون**».

تلك بعض محطات الفترة المكية ليبدأ إكمال وإتمام ا للمرحلة الثانية من عمر الرسالة المحمدية في المدينة المنورة بعد الهجرة اليها والاستقرار فيها

ولما أذن الله لرسوله بالهجرة، توخى الكتمان وهو من هديه عليه الصلاة والسلام في قوله لأمته «**استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان**».

ومع ذلك فقد بلغ قريش خبرُ خروجه من مكة للمجتمعين في دار الندوة الذين

اجتمع رأيهم على قتله عليه الصلاة والسلام، وتقاسم دمه، غير مدركين أن عين الله ترعاه، وأن مكرهم لن يحيق برسول لله ﷺ حيث خرج من بين صفوفهم ناثرًا على وجوههم التراب تاليا قول ربه تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ**﴾ وترك رسول الله ﷺ الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فراشه في فداية منقطعة النظير وفي تسليم تام لأمر رسول لله ﷺ الذي طمأنه أنه لن يناله مكروه. كما بقي علي رضي الله في مكة ليؤدي الأمانات إلى أهلهاوهذا درس أخر للمسلمين في أداء الأمانات إلى أهلها من خلق الإسلام مهما كان المؤتمن مسلما أو غير مسلم.

وقصد رسول الله ﷺ دار صاحبه أبي بكر رضي الله عنه الذي استبقاه ولم يأذن له بالهجرة قائلا له: «تمهّل يا أبا بكر، لعل الله يتخذ لك رفيقا». واعلمه بالإذن له بالهجرة وكانت فرحة الصديق شديدة قائلا «الصحبة يا رسول الله «الصحبة يا رسول الله. ()وهذا درس آخر نتعلمه من رسول الله ﷺ في إنزال الناس منازلهم ولكل واحد منزلته التي تهيؤه له الأقدار وقد هيأت الأقدار الصديق لهذا الشرف الذي نقرأه فيما لا يزال يتلى من كتاب الله «**إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ثاني اثنين إذ هما في الغار**»

وتجندت كل أسرة الصديق لقيام كل واحد من أفرادها بشرف إنجاح الهجرة (البنت السيدة أسماء ذات النطاقين تعد الزاد للرسول وصاحبه والابن عبد الله يبلغ رسول الله ﷺ ما تدبره قريش من كيد ومكر. وراعي الغنم يمر على الغار ليشرب رسول الله ﷺ وصاحبه من لبن الغنم ولتعفي الأغنام على آثار الأقدام حتى لا تهتدي قريش إلى المكان الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وصاحبه (وهو غار ثور) وكذلك اتخاذ (الخريت)الدليل العارف بالطرق غير المألوفة والمعتادة في السيَر إلى المدينة.

ولا يقبل رسول الله ﷺ إلا أن يدفع ما تستلزمه رحلة الهجرة من نفقات زاد فيدفع ما عليه معطيا القدوة والأسوة تماما مثل ما فعل عندما بركت الناقة في أرض بني النجار أبى رسول الله ﷺ إلا أن يدفع ثمن الأرض.

ونقف باختصار شديد عندما صاحب الهجرة من معجزات_ وهي تدخل تحت صفة القدرة الإلهية سواء كان ذلك عندما أسدلت العنكبوت بيتها وبيضت الحمام أو عند باب الغار مما جعل قريش تعود من حيث أتت ولسان حالها يقول هذا مكان لم يدخله أحد غير عالمة أن فيه رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر الذي جسم كل أنواع الفداء في مشيه أمام وخلف رسول الله ﷺ خوفاً من أن ينال رسول الله ادنى أذى وسده لكل الثقب التي في الغار وقد قال له لا تحزن «**ان الله معنا**» ومن كان الله معه لا يخاف ولا يغلب طال الزمان وقصر.

والمعجزة الثانية هي غوص قوائم فرس سراقة الذي حركه الطمع والجشع لنيل

ما رصدته قريش لمن يرد عليها رسول الله ﷺ وصاحبه ولما قرب سراقة من الركب الميمون كانت مجرد شارة بيد رسول الله ﷺ جعلت قوائم فرس سراقة تغوص في الأرض سائلا رسول الله ﷺ الأمان فأمنه مرة أولى وثانية ليعود بعدها من حيث أتى.

أما المعجزة الأخيرة التي صاحبت الهجرة فهي المرور بخيمة أم معبد التي أحسنت الضيافة وليس لها الا شاة عجفاء مسح رسول الله ﷺ على ضرعها قدرت لبنا شرب منه هو وصاحبه وبقي منه لأهل الخيمة وهي معان عبرت عنها أم معبد شعرا

«جزى الله رب الناس خير جزاءه رفيقين حلى خيمة أم معبد
هما نزل بالبر ثم ترحل فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بني كعب مكان فتاهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلو أختكم عن شاتها واينائها فأنكم ان تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت له بصريح ذرة الشاة مربد»

أنها معجزات التصديق بها من ركائز الايمان ومستلزماته صاحبت كل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام. ووصل الركب الميمون الى المدينة أين وجد في انتظاره جموع المؤمنين يضربون على الدفوف وينشدون الاشعار بأصوات تغمرها الفرحة والسرور.

أقبل البدر علينا من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا ما داعى للّه داع.

الى أخر الأبيات التي لا تزال تردد في الافراح والمسرات في المنازل يحفظها الجميع عن ظهر قلب في تعلق شديد برسول الله ﷺ.

أذن الهجر اعداد وأخذ بالأسباب عملا بقوله تعالى ﴿**أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾و الهجرة مع الصدق فيها محفوفة بنصر الله الذي وعد به رسله وعباده المؤمنين في قوله ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾.

أما نصيب المسلم في هذا الزمان من الهجرة فهو هجر ما حرم الله وما نهى عنه والنصرة لدين الله وكتابه ولرسوله وللمؤمنين و القيام بواجب الاخوة الوارد في قوله تعالى « انما المؤمنون اخوة»

تلك هي الهجرة في هذا الزمان « فلا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» وصدق رسول الله ﷺ القائل (**انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله...**)

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولوالدي ولوالديكم انه هو الغفور الرحيم

خطبة الجمعة ألقاها الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي بجامع البحيرة 1447هـ

يسألونك قل

حول صلاة العشاء وتحية المسجد

بقلم الشيخ الحبيب النفطي ـ رحمه اللّه

س 1 : هل تصح صلاة العشاء بعد ساعة من صلاة المغرب؟

س 2 : هل يجوز أن تؤدى تحية المسجد والامام يخطب يوم الجمعة حيث أن هناك من أجازها ومنهم من منعها فأي القولين أرجح؟

ج 1 : اعلم أيها السائل الكريم أن أول دخول وقت صلاة العشاء هو مغيب الشفق الاحمر من جهة غروب الشمس وظهور الشفق الابيض من جهة غروب الشمس أيضا وعليه فمن صلى العشاء بعد مغيب الشفق الاحمر من جهة غروب الشمس وظهور البياض من جهة الغروب فصلاته صحيحة ويقدر الزمن الذي بين صلاتي المغرب والعشاء بساعة ونصف تقريبا. قال بعض فقهاء المالكية مبينا لدخول وقت صلاة العشاء: وصل العشا بعد انتظارك حمرة إذا الشفق العالي ينجاب ويفقد ولا تلتفت الى البياض فإنه يدوم زمانا في السماء ويفقد ومعنى البيتين هو أنه يجوز لك أيها المكلف المخاطب بان تؤدي صلاة العشاء بعد انتظارك لذهاب الحمرة التي تكون من جهة غروب الشمس وظهور البياض الذي يعقب الحمرة من جهة الغروب ولا يلتفت المصلي الى البياض الذي يكون بعد الحمرة من جهة غروب الشمس فإنه يدوم أي يبقى زمانا ثم يذهب. والله الموفق انتهى نقلا من شرح مياره الكبرى لمتن ابن عاشر الفقيه المالكي صفحتي 178 – 177 من الجزء الاول والله أعلم

ج 2 : اعلم أيها السائل الكريم أن تحية المسجد في مذهبنا المالكي لا يجوز أن تصلى والامام يخطب يوم الجمعة وعليه أيها السائل الكريم فلا يجوز لداخل المسجد يوم الجمعة والامام يخطب أن يصلي تحية المسجد هذا ما قاله فقهاء المالكية.

حكم سدل اليدين في الصلاة

س 1: يقول السائل الكريم إن لي سؤالا وهو حكم سدل اليدين في الصلاة هل ان الرسول ﷺ سدل يديه الشريفتين في الصلاة؟ وكذلك هل إن الامام مالكا رحمه اللّه تعالى كان يسدل يديه في الصلاة؟ وإذا كان الأمر صحيحا أي سدل اليدين في الصلاة أرجو ان تدلني على المرجع الذي يوجد فيه سدل اليدين في الصلاة حتى أعلم من هو الذي اتى بهذه المعلومة؟

ج 1: اعلم أولا أيها السائل الكريم أن ابن عاشر رحمه الله قال في نظمه المسمى بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين عند ذكره لمستحبات الصلاة. ذكر أن سدل اليدين في الصلاة من مستحبات الصلاة حيث قال رحمه الله تعالى.

وتسبيح السجود والركوع سدل يد تكبيره مع الشروع

قال الشيخ ميارة شارح متن ابن عاشر إن من مستحبات الصلاة سدل اليدين في الصلاة أي إرسالهما حذو جنبي المصلي أما قبض اليدين في الصلاة فإن النبي ﷺ كان يقبض يديه في الصلاة فيجعل يده اليمنى قابضا بها على يده اليسرى بين صدره وسرته هذا هو الوارد عن النبي ﷺ في صلاته. وأما الامام مالك رحمه الله فالوارد عنه السدل أي سدل اليدين بخلاف مذاهب الائمة الآخرين الشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل فالوارد عنهم أن القبض في صلاة الفرض وغيرها من الصلوات هو القبض فقط والله أعلم.

مختارات من آثار فضيلة الشيخ مصطفى المؤدب

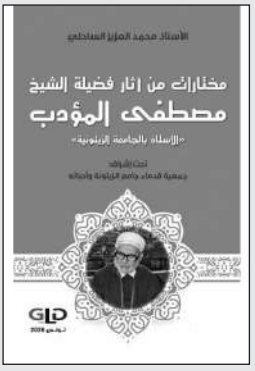

نصوص في النثر والشعر حررها فضيلة الشيخ مصطفى المؤدب

حققها واعدها للنشر الأستاذ محمد العزيز الساحلي

تحت إشراف جمعية قدماء جامع الزيتونة وأحباؤه

الكتاب يقع في 228 صفحة ويتضمن مجموعة من صور الشيخ مصطفى المؤدب في مناسبات مختلفة.

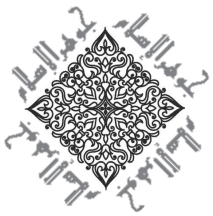

الرب الودود

*****

بقلم الأستاذ : رشيد غلام – من مشفى في لندن

أكتب لكم وقد أرخى الليل سدوله، وخيّم على المشفى الظلام، وإلتحف كل مريضٍ ألمَه كالتحاف عاشق، وتوسّد أنينه كوسادة ناعمة، يشرح وجعه بأنّات وآهات ملحونة متوسّلة إلى الباري أن يأتي الصبح بما يحمده كل عليلٍ من الشفاء والبُرء.

نوم المريض على انتظار الفرج عبادة قهريّة تظهر فيها قاهريّة الرحمن القادر، وأمل في الله يجعله متشبّثا بالحياة أكثر. والاضطرار حالة من العجز والضعف جعلها الله سببا لإجابته ونجدته، يجيب كل مضطرّ من عباده، لا ينظر دينه ولا خلقه. الاضطرار وحده عبوديّة ؛ تستدعي إغاثة الرب اللطيف الودود.

ما أكثر ما يجد المريض اسم الله الودود في لطف ورعاية الناس به خصوصا فرقة الرعاية الطبية . وفي وجوه عواده وزائريه، ودعاء الناس له ومواساتهم الحانية.

الودود من أعجب أسماء الله تعالى؛ الودود هو المحبوب الذي يتودّد ويتحبّب لغيره . فالله تعالى يتودّد إلى خلقه بنعمه ولطفه سبحانه، لكي يحبّوه ويطلبوه، وهو الغنيّ عنهم.

يبسط عليهم ما يحبّون ؛ لكي يحبّوه. يتودّد إلى قلوبهم بالإحسان والكرم، ويبتليهم بالشر والخير لكي يرى اللجوء والضراعة منهم والشكر ؛ فيسرع بالنجدة إليهم ويتداركهم بألطافه وأعطافه. في كلّ أحوالهم يجدونه، وفي كلّ أحوالهم يكلؤهم بعنايته وكرمه، هو لهم ربّ كاف وكيل.

في الليل البهيم، نام الكلّ وقد تغمّده همّه. عادة الناس أن يحملوا معهم همّ النهار إلى رقدة النوم، فينامون بين رجاء ودعاء، أو كرب وغمّ. ينام أهل الدنيا بهمّ الدنيا، وينهض المحبّون الطالبون لله وما عنده، يبثّون في الليل الحياة بتهجّدهم، ويحيون قلوبهم بذكر المولى، وينعمون في مجالسة ربّهم ويأنسون بقربه، في حضرة القرب ليلا.

يشبه الليلُ الدنيا في شكله ؛ فالناس فيه نيام، لا ينتبهون لنداء الله في السحر إلا القليل، حتى يفاجئهم نهار القيامة، فاذا هم مستيقضين، وتشرق الأرض بنور ربّها . فإذا بهم ليس لهم حظّ من دنياهم إلا ما ذكروا فيه ربّهم وكانوا في مرضاته.

قرأت دعواتكم الطيّبة وتعليقاتكم المواسية، بارك الله فيكم . واستوقفني قول بعضكم: «مسكين لم ينل حظّه»، فأحببت أن أعلمكم أنّ حظّي من الدنيا هو أن استعملني الله في مرضاته، ولم يجعلني بوقا للباطل ولا بخورا للظلمة. حظّي أن أكرمني الله بأن أكون صوتا يعلي كلمته في الأنفس والآفاق، صوتا للمقهورين والضعفاء، وليس مهرّجا في سيرك أهل الغواية.

والرجاء في الله أن يجعل هذا الإحسان مقدّمة لإحسان الآخرة عنده، فألقاه مع أهل الكرم والمنّة العظمى. قصدنا أن نكون نجوما في الآخرة لا تأفل، في صحبة النبيّين والصّدّيقين، لا نجما من نجوم الدنيا الزائلة.

أن تسخّر موهبتك في سبيل واهبها ؛ عمل شريف وشكر جزيل. إنّ أبناء الدنيا وعبدة طاغوت الشهرة والحظوة لا يدركون مدى الفرح والسعادة التي يحسّ بها من سخّر حياته كلّها لله عزّ وجلّ. فرحة وسكينة ورضا واستغناء لا يوصف.

فلا نأسف والحمد لله على دنيا فانية ملعونة، ما أكثر ما عرضت نفسها علينا وأعرضنا عنها . الذي نطلبه هو رضا الله ووجهه الكريم، في سعادة الآخرة الأبديّة. نسأل الله الثبات وحسن الخاتمة.

الله ودود حين أخرجك في عالم الخلق وليدا، من بعد مخاض مؤلم، جعل فرحتك بالإيجاد، وأمدّك بكلّ ما يقيمك، فدرّ لك طعاما شافيا من ثدي حانٍ، وأتبعك بالنّعم والإرفاق حتى صرت ولدا يافعا، فشابّا مقتدرا، فرجلا سويّا. صاحبك في كلّ أطوارك بالرعاية والعناية، في تقلّبك بين الوجوه والأحداث والحالات، كان معك بحفظه وكلاءته، ومعقّبات حافظات من بين يديك ومن خلفك، لم يغفل عنك أبدا، ولم يشحّ عنك في إيصال ما ينفعك، بقدره وأجله.

ودود؛ حين اعتنى كبذرة تدفن في التراب وترفس بالأقدام وتعاني ذل الدس ثم أنبتك زهرة حين سقاك بماء الحياة، بارعا متفتحا فواحا .

ودود ؛ حين جعل لك من بني جنسك سخريا، ودود ؛ حين جعل بعضكم لبعض فتنة وسبل ومرقاة، ودود ؛ حين سخر لك كل ما في الوجود نعمة ورحمة .

ودود حين أذاقك طعم الفرح والسرور، ودود حين علّمك بالمنع والكسر والحرمان. في كلّ ذلك كان ربّا يربّيك بتغيّر الأحوال والمشاعر حتى تكبر بدنيّا ووجدانيّا. كان يرعاك في كلّ أطوارك.

ودود حين أرسل الرسالة تدلّك على السبيل إليه. وأمرك ونهاك لما فيه سعادتك وهناك، ودود حين هدى قلبك إليه، ورغّبك في نفسه، وأطمعك في رحمته وكرمه، وأمّلك في العقبى لديه . وأعظم رجاءك فيه غفرانه وعفوه كي لا يوحشك ذنب، ولا يقنّطك شيطان، ولا يصرفك هوى.

ودود حين بعث نبيّه سيّدنا محمّدا ﷺ هديّة يهدي بها قلبك إليه، وجعله لك أسوة وعليك حريصا، ولك شافعا .

ودود حين نضح في الوجود جماله، وجعل كلّ زينة فيه دالّة عليه. في كلّ شيء جميل تسمعه أو تراه أو تشمّه قبس من جماله العظيم، يطمعك في شهود الجمال الأعظم ؛ النظر إلى وجهه العظيم يوم القدوم عليه.

ودود حين أوجدك إنسانا، وحين أنبتك نباتا، وحين يبعثك خلقا آخر . خالق مقتدر وربّ كريم وباعث عظيم سبحانه . في كلّ دورة الإيجاد والبعث كان القصد منها أن تعرفه وتجده، وتطلبه وتعبده .

ودود في كلّ أطوارك، كان أرأف بك من كلّ ما سواه، وكان مع حبّه لك أرحم بك من نفسك. وكذلك يكون حين تلقاه رحيما عطوفا كريما، كما يليق به سبحانه.

الله تعالى هو الودود الحق : لأنه هو الظاهر بالمحبة على عباده كلهم، ولقد وسعهم علما وقدرة وحلما ورحمة بل تجلى عليهم بكل كمال وجمال من حقائق أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وبكل شيء ؛ وجودا وتكوينا وإنعاما وهدى، ووصلهم وأمدهم بالبر والإحسان وبالعدل والغفران حتى يصلوا لأحسن غاية لهم، فلطف بهم وغفر لهم مساوئهم بلطف وتحنن فهو الودود الكريم المنعم الجواد.

والودّ من الله الودود سبحانه جلّ شأنه ظاهر في تجلّي كلّ الأسماء الحسنى والصفات العليا الإلهيّة، وفي ظهور آثار صفاته بأفضل جمال وكمال جلال. فسبقت رحمته غضبه، ورافق علمه حلمه، ولازم لطفه تقديره، فهو العفوّ الغفور العزيز الحكيم . وهكذا في مراتب الأفعال في كلّ مراتب الكون، ولذا قال العارفون له سبحانه: بالحبّ ظهر الوجود . ومنه ما ورد في الأثر: كنت كنزا مخفيّا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف. وهذا مأخوذ من ظهور الحبّ على الحقيقة نورا في كلّ الكون.

إذا علم العبد أنّ الله يودّه ويتحبّب إليه ويدعوه إلى محبّته، سعد قلبه بالثقة فيه والرجاء، وأسرع الخطو نحوه لا يعيقه ذنب ولا طاعة، ولا محنة ولا منحة. وطرِب قلبه من النداء الحبّي الودّي الإلهيّ، فأنس بلطفه في كلّ الأقدار، وسكن لتدبير الله له في اختلاف المقادير والأطوار، وقام لشكره بالليل والنهار.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين. فيا ودود يا ودود برحمتك نستغيث

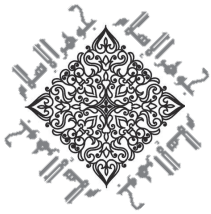

...وهل لي من دواء الاها ؟

بقلم صالح الحاجة

لو سألتني عن أرقى وأنقى واجمل واعذب كلمة في لغتنا الجميلة لقلت لك على الفور ودون تردد :

إنها كلمة الحمد لله ..

كلمة خير وأبقى من كل دواء ..وأقوى من كل داء ..

هي أغلى وأحلى كلمة على الإطلاق ..

إنها العذوبة كابتسامة الرضيع وأجواء الربيع ..

مريحة نفسيا ..ومنعشة للروح والقلب ..ومصعد

تصعد به إلى السماء فتحلق عاليا وبعيدا ..

الحمد لله مليار مرة ..

الحمد لله سلاحي في مواجهة الأراذل والانذال وأولاد وبنات الحرام ..

الحمد لله رغم ...ورغم ..

إذن قل الحمد لله دائما أبدا وكررها في اليوم الواحد عشرات المرات وامض في طريق الحياة غير عابئ بمن في قلوبهم مرض ..وبأولئك الذين يمشون في الأرض مرحا ويظنون أنهم جبابرة وأقوياء ..

قلها واعدها وستشعر بأنك كالطير في علاه ...

قلها وسيمتلئ صدرك بهواء نقي ...

قلها وسيطمئن قلبك ...

أنا لا أمل قولها ...ولا أتوقف عن ترديدها ...وتصاحبني في حلي وترحالي...

الحمد لله في الصباح ...

والحمد لله في المساء ..

اننا بها نتنفس ...ولذلك نحن نتنفس رغم الذي يقال ..و لايقال ...

الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه ..

اللهم لك الحمد حتى ترضى ..

ولك الحمد إذا رضيت ..

ولك الحمد بعد الرضى ..

أنا الجائع الذي أطعمته فلك الحمد...

أنا المتعب الذي أرحته فلك الحمد ...

أنا المظلوم فأنصفته فلك الحمد ...

أنا الضائع الذي هديته فلك الحمد...

أنا الخائف الذي طمأنته فلك الحمد ..

أنا المفلس الذي ساعدنه فلك الحمد...

الحمد لله أولا وأخيرا ...

au Prophète de faire entendre la Parole. Le récitateur et le lecteur attentifs sont à l'écoute et la transmission est actuelle.

Les histoires des prophètes, qui occupent une place importante dans le Coran, sont souvent introduites par une adresse au Prophète. La relation de ces récits avec sa propre histoire, en particulier l'opposition de sa tribu, a été maintes fois soulignée, et par le Coran lui-même!. Les événements jalonnant la vie du Prophète, auxquels le Coran fait allusion explicitement ou implicitement (déboires avec son peuple, relations avec les proches, les Compagnons et les autres communautés, expéditions et combats...), le mettent constamment en scène.

Sa condition humaine lui est sans cesse rappelée pour couper court à toute confusion entre le divin et l'humain mais sa fonction, son élection et son statut exceptionnels le lui sont tout autant, parfois simultanément :

«Dis : gloire à mon Seigneur ; ne suis-je qu'un homme envoyé ? (hal kuntu illá basharan rasülan)» (17, 94). Les allusions, tantôt discrètes, tantôt patentes, à sa relation intime avec Dieu et avec la Révélation ne manquent pas. Simple mortel, affecté des faiblesses inhérentes à la condition humaine, le Prophète est là, présent dans le texte, au moment de sa « descente », antérieurement et dans les temps à venir.

Cette étude participe d'une recherche collective sur la présence, l'image ainsi que la vénération du Prophète dans la communauté musulmane, au cours de 1'histoire, De cette présence et de sa représentation, le Coran est le premier témoin. Une étude sur le Prophète dans le Coran s'imposait donc. Elle n'est évidemment pas la première, mais elle a été orientée par les questions que pose cette recherche.

Contrairement à d'autres approches, elle ne tient pas ou très peu compte du contexte historique de la révélation coranique, car elle vise avant tout à dégager du texte tel qu'il a été établi ce que celui-ci dit du Prophète aux croyants. Cette étude reste donc volontairement dans les limites du Coran. Les liens entre certains versets et le hadith ne sont qu'exceptionnellement signalés. Une autre étude devra examiner la continuité entre le Coran et la tradition prophétique ou, au contraire, l'apport spécifique de cette dernière. Au-delà, c'est toute la question du développement de la figure du Prophète dans la tradition musulmane, savoirs, doctrines et pratiques, qui se posent : quel rapport avec le texte fondateur ?...

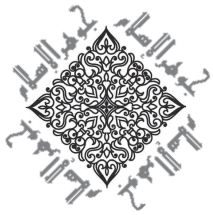

Le serviteur de Dieu : figure de Muhammad en spiritualité musulmane

Denis Grill

«L'Envoyé n'a qu'à transmettre » (mâ «alâ l-rasil illâ l-balagh) (Coran, 5, 99). L'envoyé a pour mission de faire parvenir le message, qu'il soit une parole ou un écrit, à son ou ses destinataires. Ce verset, répété avec quelques variantes vise à innocenter le Prophète de tout soupçon d'intervention personnelle dans l'esprit et la lettre de la Révélation. Il lui rappelle aussi qu'il n'a pas à s'affliger du refus et de l'opposition de ses dénégateurs car leur guidance ne dépend pas de lui, comme cela lui est signifié de diverses manières.

Cette fonction de transmission peut faire croire qu'elle constitue l'essentiel de la mission : recevoir la Révélation, la réciter et la dicter à ses Compagnons. Il ne s'agit évidemment pas de relativiser le caractère fondamental de la transmission, mais de montrer que le Coran assigne au Prophète bien d'autres fonctions et tâches, comme celle d'enseigner les hommes et de leur indiquer par son exemple la voie à suivre. De plus, son omniprésence dans le texte sacré se prolonge bien au-delà de son passage sur la Terre.

Le croyant entend et lit le Coran comme une parole révélée à un moment de l'histoire mais toujours actuelle ou nouvelle, et adressée au Prophète par le pronom de seconde personne, « celui auquel le discours s'adresse » (al-mukhâtab), en termes de grammaire arabe. Cette interpellation constante du Prophète le rend immédiatement présent pour celui qui récite le Coran, d'autant plus s'il le récite comme une parole

S'adressant personnellement à lui par l'intermédiaire de son premier destinataire.

Dans ce cas, le Prophète est doublement présent. De très nombreux versets ou phrases commencent par l'impératif « dis !» (quL), enjoignant

A partir du pur néant, ou dit-on, après avoir été dispersé.
Mais ces deux possibilités opposées ne sauraient concerner
Les prophètes et d'autres que le législateur a mentionnés.
Sur la résurgence des accidents on trouve deux positions
Selon l'avis dominant, c'est l'être qui est sujet à la résurrection.
Sur la temporalité deux avis aussi ; et la Reddition des comptes sera une réalité
Nul doute à propos de la vérité !
Il rétribuera les méfaits de façon semblable
Et la récompense pour les bienfaits sera incommensurable.
En évitant les péchés majeurs, seront pardonnées
Les fautes mineures, et l'ablution permet de les expier.
Le Jour dernier et la terreur de se tenir devant Dieu
Sont réels : allège et aide-nous ô Très-Miséricordieux !
Il faut croire que les Hommes recevront les registres de leurs actions
C'est établi clairement dans le texte de la Révélation.
Ainsi en est-il de la pesée et de la Balance :
Seront pesées les actions inscrites ou les essences.
De même pour le passage du Pont (au-dessus de l'enfer), il y aura différenciation :
Certains en réchapperont, d'autres chuteront.
Le Trône, le Piédestal, le Calame, les Scribes, la Table,
En tous se trouvent des sagesses insondables.
Non qu'il y en ait besoin, mais c'est un devoir
Ô Homme ! pour toi d'y croire.
Le Paradis et l'Enfer existent réellement
Alors n'écoute pas l'incrédule dément !
Ce sont deux demeures éternelles, l'une pour le bienheureux, l'autre pour le damné
L'un gratifié, l'autre châtié, tant qu'ils vont y demeurer.
Croire au bassin du meilleur des messagers
Est un impératif, comme cela nous a été rapporté.
S'y abreuveront ceux qui auront rempli leur engagement
Et les outranciers eux en seront écartés âprement.
Il faut croire à l'intercession de Muhammad, médiateur autorisé
Elle passe avant les autres et n'est point refusée.
D'autres que lui parmi les élus agréés
Intercéderont, comme on nous en a informés.
Sauf la mécréance, toutes les fautes peuvent être pardonnées
Ne jetons l'anathème sur aucun croyant pour un péché !
Qui meurt sans se repentir de ses erreurs
Son cas est laissé au soin de son Seigneur.

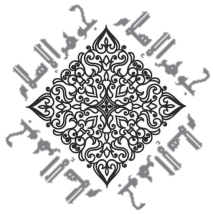

JAWHARAT AL-TAWHID

La perle précieuse de l'Unicité divine

Ecrit par shaykh Ibrâhîm ibn Ibrâhîm al-Laqqânî

(m. 1041/1631)

(traduction par Abd-al-Wadoud Gouraud)

vers 88 à 116

Croire à la [réalité de la] mort est obligatoire :
Que l'ange de la mort s'empare de l'esprit
Et que la mort du tué coïncide avec la fin de sa vie.
Penser autrement est inconcevable et illusoire.
On a divergé sur l'annihilation de l'âme quand la trompette [du Jugement] retentira
Subkî estime, comme d'autres savants, qu'elle subsistera.
C'est la même question pour le coccyx, mais cela
Fut corrigé par Muzanî qui montra que cet os s'usera.
« Toute chose est périssable » : cette généralité, certaines choses en sont exceptées
Alors cherche à savoir ce qu'ils ont mentionné !
Ne parle pas de l'Esprit car à ce sujet ne fut rapporté
Aucun texte du législateur, néanmoins on a trouvé
Un propos de Mâlik disant qu'il a une forme comme le corps
Tiens-t'en donc à la transmission de ce rapport.
L'intellect est comme l'esprit, mais certains ont établi
Une différence, alors examine ce qu'ils ont dit.
Notre interrogatoire, puis au tombeau la punition
Ou le bonheur : il faut y croire, comme à la grande résurrection.
Dis que le corps est rendu [à la vie], c'est démontré

JAWHAR EL ISLAM

Revue culturelle islamique - Tunisie

Numéro 9/10 - 24ème année

Mouharam - 1448/juin 2026

SOMMAIRE

JAWHARAT AL-TAWHID La perle précieuse de l'Unicité divine/ *Ecrit par shaykh Ibrâhîm ibn Ibrâhîm al-Laqqânî* 2

Le serviteur de Dieu : figure de Muhammad en spiritualité musulmane / Denis Grill 4